خطوة نحو الغاية

الكلمة التي القاها باسم لبنان ، صاحب الدولة السيد عبد الحميد كرامه رئيس الوزارة اللبنانية في حفلة توقيع ميثاق جامعة الدول العربية .

*

في هذا اليوم الاغر من تاريخ العرب يسرني ان احمل تحية لبنــان العربي اليكم والى الاقطار العزيزة التي تمثلونها مهنئاً اياها جميعاً بما انتهت اليه جهود ممثليها من اتفاق على تأسيس جامعة لدولنا تكون اداة دائمة للتعاون الاخوي الوثيق بيننا، ونصبح بفضلها كالبنيان المرصوص يرغب في مودتنا ذوو النيات الصافية ويرهب جانبنا ذوو المطامع والاغراض .

لقد ضم لبنان جهوده الى جهودكم في بناء هذا الصرح القومي العظيم . صرح الجامعة العربية ، كما ضم من قبل خلال عشرات السنين جهاده الى جهادكم في سبيل التحرر والانعتاق من نير الرق والاستعباد. وسيسير كذلك دائماً الى جانبكم يؤدي نصيبه من السعي في سبيل استعادة هذه الامة سالف مجدهــا ذلك المجد الذي اشرقت اليوم شمسه ووضعت في هذه الجامعة اركانه واسسه .

اننا نعلم حق العلم ان هذه الجامعة ليست هي غاية ما يصبو اليه العرب في مختلف اقطارهم ، ولكنها خطوة مباركة بل خطوة كبيرة جبارة نحو تلك الغاية السامية . وعلى سير هذه الجامعة سيتوقف مستقبل العرب جميعاً ، وعلى الاخلاص الذي يضعونه في تعاونهم يتوقف نجاحهم ويتمكنون من تبوء المركز الذي يخولهم اياه حيويتهم العظيمة وخصائصهم الكريمة وتاريخهم المجيد .

ولست ارتاب في ان هذا الميثاق سينفذ بنفس الروح الطيبة والنية الصافية التي رافقت تدوينه فتشعر الاقطار العربية جميعها بما يجره عليها هذا التعاون من نفع معنوي ومادي ، من رخاء ورفاء ومتعة وجاه .

اننا نشهد اليوم آية من آيات البعث الذي وعد به الله تعالى عباده اذ نرى الامة العربية التي طواهــا الكرى قروناً حتى طمع فيها كل طامع ، وجاس خلال ديارها كل مستعمر تعود الى الوجود لتحيا حياة كريمة حرة ولتحمل مع الامم النشيطة مشعل النور تستنير به وتنير .

وجدير بهذا اليوم ان يخلده التاريخ في اروع صفحاته لانه يوم البعث لهذه الامة العريقة . وجدير بالعرب ان يخلدوه لانه فاتحة رحلتهم الجديدة الى الخلود .

ولئن كان علينا ان نمجد احداً في هذه الساعة فلنمجد المجاهدين الاولين والآخرين في كل قطر من اقطار العرب ، من استشهد منهم ومن كتب له الحياة ليشهد هذا اليوم العظيم ، وان ذكرنا الذين تعبوا وعانوا من قريب او بعيد فلنذكر في طليعتهم حضرة صاحب الجلالة الملك فاروق المعظم لما حمل نفسه من جهد وعناء في سبيل بناء هذا الكيان العظيم . فاليه والى سائر الملوك والرؤساء والامراء ، والى رجالات العرب في مختلف الانحاء ، والى سائر ابناء العروبة الاباة ، تحية لبنان المقيم للعروبة في امسه ويومه وغده، على الود والولاء .

عبد الحميد كرامه

الالم كوجه حيوي ومهذب نشوئي

بقلم عبدالله العلايلي

نحن لا نرتاب في ان الحياة فكرة فقط منذ اصبح الانسان حياً متعقلاً، وليس من المنطق في شيء ان ندرس الحياة كوحدة لمجموعة الاحياء ، لان الانسان انفصل انفصالاً تاماً عن الحياة الآلية وبعبارة اوضح الحياة الغريزية الخالصة التي يحياها سائر اصناف النوع ، وغدا ينقاد لسيطرات الفكر وحده . فما الحياة الانسانية الا تشكلات او انطباعات لفكرة بعينهـا تؤثر اثرها في كتلة ضخمة من الزمن ثم تذوي تحت تأثير تشكلات او انطباعات اخرى، وهكذا دواليك.

وما التاريخ الا عرض وصفي لسير تلك التشكلات او تأثير تلك الانطباعات ، وابراز عملها في الفرد والجماعة . وما الاجتماع الا صورة مؤلفة من الوان تلك الانطباعات الحية، فالمجتمعات ارتسامات خاصة لتأثير افكار خاصة ، ثم لا شيء وراء الفكرة . . .

ولسنا نرتاب ايضاً في ان الالم هو الذي يهذب الفكرة « اي الحياة » ، فنحن نبارك الآلام لانها عامل ايجابي في التكامل الانساني . وان الفلسفة في الالم واللذة التي تجعل الالم معنى سلبياً، هي سخافة مطلقة تناصرت الشواهد في علوم الاحياء على السخرية منها وهي تثبت العكس تماماً . فظاهرات النشوء وما يتبعه من تكامل مطرد ، تقرران اللذة عامل سلبي في التكامل وان الآلام وحدها هي العامل الايجابي .

وان الظـاهرات التي تعايشنا تشهد بان اللذة هي الخلو من الالم ، فلذة الشبع هي حالة عدم الشعور بالالم الخـاص الذي هو الجوع ، ودليل هذا انك في حالة الشبع لا تشعر بشعور خاص بل تشعر بمعنى عدمي خالص .

واذا حللنا اللذة التي تدركنا في مشهد من مشاهـد الطبيعة الخالبة ، نجد انها الذهول عن الآلام الملازمة للنفس بعلة الحياة ، وبعبارة اخرى تخدير تلك الالام او الخروج منها مدة دوام الشعور بالابتهاج .

وكذلك اذا حللنا اللذة العنيفة او اللذة المركبة التي نحس بها عند اشباع نهم الجوع الظامي، او حـالة الاغتلام ، فان الاول اطمئنان شديد بزوال الآلام يجعل كافة القوى في حالة تنبه شعوري ويصحح هذا ، ان الشبع الذي هو ظاهرة من ظاهرات اللذة لو كان يؤدي الى معنى وجودي ، لكان الاكثار منه يؤدي الى مضاعفتها بينما نجد انه يؤدي الى شعور جديد بالم جديد . وان الثاني اطمئنان يجعل القوى في حالة تنبه شعوري على وجه اخر ، بان الرغبة المكبوتة قد انطلقت . هذا الكبت الذي اورث عارضاً نفسياً خاصاً ، مصاحباً لعارض حيوي عضوي . . اذن فالالم وحده هو الذي يرتبط بالحياة ارتباطـاً وجودياً . . والان نورد المادة من شرائط حصول الالم واللذة عند الفلاسفة النفسيين :

اختلفت المناهج حديثاً في ذلك، وهي على اختلافها ترجع الى اصلين جاء بهما في القديم « ابيقور » و « ارسطو » .

ذهب ابيقور : الى ان مصدر اللذة والالم هو الفعالية والتزم هذا المذهب « كانت » ، وتذهب جماعة هذا الرأي الى ان الاصل هو الالم وان اللذة ليست سوى حادث مشتق مناقض للالم ، فليس السرور عند كانت الا انقطاع الالم فقط . وقد انتهى الى هـذه النتيجة : لا يمكن وجود لذتين متعاقبتين، وهذا هو مذهب المتشائمين او العدميين امثال شبنهور . وذهب ارسطو ونصره سبنسر الى ان اللذة تحصل حين تكون الفعالية موافقة للميول ، فاللذة تـلازم العمل الذي يقع وفق الشروط والالم يحصل فيما يخالفهـا . والتحليلات اثبتت ان الصلة بين الالم وبين اللذة لا تنفك ، فاللذة المطلقة التامة تتوقف على قيـام نظام تام بين الوظائف وهو مستحيل ، كما ان الالم الذي لا يمازجه شيء من اللذة انما هو نتيجة انشقاق مطلق بين الوظائف المذكورة وهو الموت .

ولكن ذهب العلامة « سرجي » الى اثبات منطقة حيـادية وهي حالة خلو مطلق ، محتجاً بان اللذة والالم لما كانا قطبي الحياة الانفعالية لزم ان يكون بينهما منطقة حيادية ، وهذه المنطقة الحيادية للشعور تجعل العضو يلتئم مع الاحوال المحيطة به تمام الالتئام حيث لا يوجد نقص ولا زيادة في الفعالية الحيوية .

ومغلطة محضة ما ذهب اليه «ارسطو وهاملتون وستوارت ميل» اصحاب المذهب الوجودي في اللذة ، وقـد علقت بتفكيرهم من عدم التحليل الصحيح للبواعث . وكان اقرب للصواب مـا ذهب اليه « كانت وشبنهور وهارتمن » اصحاب المذهب العدمي في اللذة وان كان خطأ من حيث النتيجة التي القت بهم في التشاؤم . لان البرهان الذي استعمله العدميون كان بسيطاً ناقص المقدمات وهو :

الحياة هي الحركة — الحركة هي بذل الجهد — بذل الجهد هو العناء — اذن فالحياة عناء . . وصحة هذا البرهان بمقدمة ترمز

الى قياس مركب وهو:

الحياة هي الحركة – الحركة هي بذل الجهد – بذل الجهد هو العناء – الحي يطلب الحياة بالحاح وهو يهرب من الالم – فالحياة عناء يطلبها الحي بالحاح وتحيل على الالام .

وهذا التحيل من الانسان في نظرنا هو محـاولاته دفع الالم ليوجد له قريباً مما يسميه العلامة « سرجي » منطقة حيادية او حالة الالتئام التام . ونحن لا نجعل حالة الالتئام خلواً مطلقاً بل هي ألم طبيعي غير مشعور به ، يلازم الحياة ولا ينفصل عنهـا ، فمحاولة الانسان اذن هي ان ينتهي الى حالة لا شعورية بالالم .. والانسان قمين بان يصل الى هذا بكفاح الآلام على كل اشكالها ، وفي العضويات شاهد على ما نقرر ، فان العضو يصبح اقل شعوراً بالالم بكفاحه ، وهذه الحالة اللاشعورية بالالام هي اللذة التي في مكنة الحياة ان تمنحها فقط . اذن فنظرية الالم هذه لا توصلنا الى التشاؤم ابداً ، بل الى الاستمساك بالحياة والتحيل على آلامها ...

ان المتشائمين ارادوا دفع آلام الحياة بتقليل الجهد في طلبها ، وهو وقوف مع برهانهم الناقص .. ان نظرية الالم الايجابية التي نقررها تحملنا على اكتشاف وجوه الحيلة في دفع ألم الحياة نوعاً ما ، مـا دامت الحياة جهداً مصحوباً بالالم وما دام الحي يلح في طلب الحياة .

ان نظرية الالم الايجابية هي التي تجعل ينبوع كفاحنـا لا يغيض ولا ينقطع ، فان الالم داخل في معنى الحياة ونحن نجرب كفاءتنا في ان نجعل الالم انفعالا غير مشعور به اي لذة ... اذا كان الالم طبيعة في الحياة ، فلن تضع الآلام على اية صورة حداً لكفاحنا الاقدس . اننا على العكس نستقبل كل تنكيل بغبطة ما دام الالم يرهف الحس ويزكي الشعور ويقوم فينا المثل المهذب والمنتخب ، الذي سوف ترتكز على مثله البشريات الصاعدة .

ان الالم هو العامل الايجابي في اطراد سير الانسانية نحو هدفهـا الاعلى ، فنحن لذلك نتخذ من الآلام اداة لبقائنا ووجودنا . بينما اللذة المائعة كانت وستبقى عامل انحلال ووهن وانتكاس ، فمـا انتكست امة الا بحيـاة اللذات التي تبنيها بناء رخواً يجعلها ترجف من ذكرى الآلام ووقع الآلام ، وبذلك تنتزع من كيانها اهم العناصر وهو الجهد اي العناء . ان الالم الذي تبثه الحياة جانب من تنازع البقاء ، فبقاؤنا مع الالم معناه اننا عنصر منتخب ، فيجب ان نبقى بمقتضى ناموس بقاء الاصلح ، واولئك المتألمون هم ابناء الحياة الذين انتخبتهم الحياة انتخاباً .

ان نظرية الالم الايجابية تعالج الالام المركزة في جوهر الحياة ، بآلام مخففة خارجة عن جوهرها ونطاقها . وهي بعد ذلك تحول الالام الى مصل ، ثم تجهز به الحي ضد اعنف الالام .. ان الرياضة البدنية آلام تمد الجسد بالقوة ، وان نظرية الالم الشاملة تمد الانسان بالطاقة غير المحدودة التي لا تكسر فيها من وهن او تذبذب .

لا شيء ينتج الالم ، هكذا نؤمن وبهذا نبشر ، كي نستقبل الالام ونحن باسمون .. نحن نزيد آلاماً لاننـا نزيد الحياة ، وهي جهد مصحوب بالالام .. نحن بدون آلام احياء جامدون خشنو المشاعر والاحاسيس ، فرعياً للالام التي تخلق منا في كل حين انساناً مرهفاً جديداً ، له تطلعه وآماله ووثباته .

نحن نرفض كل تعاليم لا يكون فيه عنصر الالم ، نرفضه باحتقار ونزور عنه في كبرياء ، فان الصبر على الالام مادة هامة في كبرياء المجد .. ان التعاليم التي تحمل عنصر اللذة وتبشر بمبدأ العيش الرخاء ، رخوة انها تصلح ان تكون علفاً وغذاء لدواجن البيوت ، فنحن نحقر كل تعليم يكون منهجاً لتربية الدواجن ويحولنا سريعاً الى قطيع كبير حالم .. اننا نزيد تعليماً يرهف فينا الحس ويزودنا بالشعور الذاتي ، وينفخ فينا روح الكبرياء ، ويبني الاعصاب .

في معركة الالام نبني انفسنا ونؤلف تصوراتنا عن الحياة الناجحة ، والارادة هي التي تمضي قدماً بتحقيق هذه التصورات حتى تصبح واقعاً يخالطنا .. ان آلام العرب الاولين التي هذبتها تعاليم الذاتية المريـدة ، مدت العرب بالكفاح الغلاب وكافأتهم بحياة المجد . فكانت الالام عامل بعث في فجر نهضتنا ، كما انها ستكون عامل البعث في فجر تاريخنا الجديد السعيد .

عبد الله العلايلي

امين الريحـــاني

●



اقامت لجنة تكريم امين الريحاني حفلة كبرى بمناسبة رفع رسمه (وهو بريشة الاستاذ مصطفى فروخ) في دار الكتب اللبنانية ، واطلاق اسمه على احد شوارع بيروت . وننشر على هذه الصفحات بعض الكلمات التي ألقيت في هذه الحفلة . وهذه هي حياة الريحـاني في كلمات :

● والداه لبنانيان من اسرة البجاني ، واصل الاسرة من اهدن من بني سعاده نزحت الى بجه وانتسبت اليها . وسكن فرع منها في الشادية وتكنى بالريحـاني لوفرة نبت الآس في جوار منزله . وكان ذلك في اواخر القرن الثامن عشر .

● ولد امين الريحاني في ٢٤ تشرين الثاني ١٨٧٦ ، وتعلم دراسته الابتدائية بالفريكة ، بيت شباب ، عين عار ، بجردق . وسافر فتى في عامه الثاني عشر الى اميركا مع عمه ، وتعلم هناك اصول فن التمثيل ، وعاد الى لبنـان ، ثم عاد الى اميركا حيث اشتغل بالتجارة والادب ، ودرس اصول الرسم والتصوير . ومضى حياته رحالة بين مختلف بلاد العالم : نيويورك ، لندن ، باريس ، مصر ، بغداد ، القدس ، الاندلس ، شمال افريقيا ، الجزيرة العربية .

● كتب كثيراً في الصحف بالعربية والانكليزية ، في الشرق والغرب وكان من اكبر دعاة الوحدة العربية .

● من كتبه العربية المطبوعة : الثورة الفرنسية ، المكاري والكاهن ، المحـالفة الثلاثية ، النكبات ، التطرف والاصلاح ، انتم الشعراء ، زنبقة الغور ، خارج الحريم ، وفاء الزمـان ، ملوك العرب (جزءان) تاريخ نجد الحديث ، فيصل الاول ، قلب العراق ، الريحانيات (٤ اجزاء) .

● من كتبه بالانكليزية : الرباعيات لابي العلاء ، المر واللبان ، خالد ، اللزوميات للمعري ، تحدر البلشفية ، انشودة المتصوفين ، مسلك النفس ، ابن سعود ونجـد ، حول الشواطىء العربية ، بلاد اليمن .

● من مؤلفاته (في العربية) التي لم تنشر بعد : المغرب الاقصى ، قلب لبنان . ومنها في الانكليزية : فيصل الاول ، قلب العراق ، نظرات في الف ليلة وليلة ، روايتان تمثيليتان .

● هو عضو مراسل في المجمع العلمي العربي بدمشق ، وجمعية الشعراء الاميركيين ، ومنتدى الصحـافة النيويوركي ، ونادي المؤلفين الاميركان ، والجمعية الشرقية الاميركية ، واختاره معهد الدراسات العربية في المغرب الاسباني رئيس شرف .

● تزوج سنة ١٩١٦ من الآنسة الاميركية برتا كايس ، وهي كاتبة مصورة مشهورة ولها مساهمة في الفن والادب والسياسة .

● توفي في الفريكة يوم الجمعة في ١٣ ايلول ١٩٤٠ ، وهو في الرابعة والستين من عمره .

الريحاني قديس جديد

قل كلمتك وامش

الناس انواع :

منهم من لا يستطيع ان يكون شيئاً ، يعيش ما يعيش فلا يشغل فراغاً في هذا الوجود ثم يموت فلا يدري به احد .

ومنهم من يستطيع ان يكون شيئاً ولكنه يعيش في هذه الدنيا معيشة الزاهدين . قد يكون ذلك عن ضعة في نفسه ،



الاستاذ خليل السكاكيني
يلقي كلمته في الاحتفال بذكرى الريحاني

ومثل هذا يعتقد ان الدنيا فوق قدره ، وانه احقر من ان يكون له فيها نصيب . وقد يكون عن تعال في نفسه . ومثل هذا يعتقد ان الدنيا دون قدره ، وانها احقر من ان تشغل باله وان تكون موضع اهتمامه . وقد اشار ابو العلاء الى هذين النوعين من البشر في قوله :

وزهد اناس لضعف النفوس ۞ وزهد اناس لبعد الهمم

ومنهم من يكون شيئاً كثيراً في هذه الدنيا ولكن في الشر والاذى ، واذا رحل عن الدنيا غير مأسوف عليه قال الناس : أف .

ومنهم من يكون شيئاً كثيراً ولكن في الخير ، اذا مرّ به يوم ولم يستنفد فيه كل قواه ولم يستعمل كل مواهبه ، ولم يبذل كل ما اكتسبه من معرفة واختبار في سبيل اصلاح العالم واسعاده فلا يحسبن من عمره .

الناس من هذا النوع هم ينابيع الحكمة ومصابيح الهدى ، واذا رحلوا عن هذه الدنيا قال الناس : واأسفاه ثم واأسفاه .

امين الريحاني كان من هذا النوع من الناس فقد كانت حياته حافلة بالخير .

*

لنا في الاحتفال بذكرى الريحاني اغراض :

منها الاعتراف بجميل الريحاني واعلان الشكر له ، وقد كان هذا في حياته اوجب ، ولكن يظهر اننا الى الآن لا نتفطن للقيام بهذا الواجب الا بعد الممات على حد قول اليازجي الكبير :

لا يحمد القوم الفتى الا اذا ۞ مات فيعطى حقه تحت الثرى

كأننا نقول للعامل المخلص فينا : اذا اردت ان تكون العزيز الغالي فمت .. واني لاخشى ان يجيء زمان لا يحمد القوم الفتى فيه لا فوق الثرى ولا تحت الثرى ، بل اخشى ان يجيء زمان يمرض فيه مثل الريحاني فلا يجد من يعالجه ، ويموت فلا يمشي في جنازته احد ، وما ادرانا لعلنا مقبلون على زمان يموت فيه مثل الريحاني فنهنئه ان الناس وسعوه بحلمهم فلم يرجموه او يصلبوه ! ..

ومن تلك الاغراض مشاركة ذويه في استعظام الخطب فيه ومعنى ذلك ان امين الريحاني كان للناس اجمعين ، فالجميع في استعظام الخطب فيه سواء . ومنها درس حياة الفقيد واستخراج نموذج منها يكون مثلاً اعلى للاحياء ، فيكون قد احسن الينا في الحياة وفي الممات . وفي كل ذلك تكريم للاحياء انفسهم لانه يدل انهم اوفياء لا يضيع الاحسان فيهم . ولكن ليس اكتمكم اني اعجب كل العجب ، غاية العجب ان نقتصر من تكريمه واحياء ذكراه على تعليق صورته في دار الكتب الوطنية . ان الذي كان اول من عرّف العالم الغربي بالفيلسوف العربي ابي العلاء المعري .

ان الذي كان اول المجاهدين بقلمه ولسانه في الاندية الغربية والصحافة الاميركية والانكليزية دفاعاً عن قضية فلسطين .

ان الذي كان من واضعي حجر الاساس في بناء الوحدة العربية واول من دعا الى اتحاد الدول العربية . ان الذي انفق حياته في الكتابة والخطابة وكل كتبه وخطبه وحي جديد ينفع الناس .

ان الذي علم الناس الثورة على قديمهم البالي .

ان الذي فعل كل ذلك لخير له الف مرة ان يبقى جندياً مجهولاً لا يعرفه احد من ان يكتفى في تكريمه واحياء ذكراه بتعليق صورته في الدار هذه او الدار تلك . اذا لم نقم تمثالاً لامين الريحاني يراه الرائح والغادي فلمن تقام التماثيل .

اذا لم نطلق اسمه على شارع او نهر او أكمة أو حديقة او رواق في معهد علمي ، فاسم من احق بذلك من اسمه ؟

اذا لم نجمع آثاره ونطبعها طبعاً انيقاً جميلاً فآثار من احق بذلك من آثاره ؟ اذا لم نجعل يوم ميلاده عيداً وطنياً يتبادل الناس فيه الاعجاب به وتنطلق الالسنة بالثناء عليه فمن احق بذلك منه ؟

ايها الناس نحن في حاجة الى قديسين من طراز جديد ، وانتم ادرى بهذا الطراز الجديد فليكن امين الريحاني في طليعة هؤلاء القديسين .

القدس ۞ خليل السكاكيني

صفقة لم تعقد!...

بقلم خليل تقي الدين

من الفريكة الى نيويورك ، من القرية اللبنانية الصغيرة الجاثة عند قدمي صنين ، الضاحكة في ثغور السوسن والاقحوان ، الملتحفة في عشيات الصيف بغلالة بيضاء يصعّدها الوادي ليطاول بها الجبل ، وينشرها المساء ليغرق فيها الكائنات ، الى المدينة الجبارة ناطحة السحاب ، لاهثة الاحشاء ، الزافرة بعشرات الالوف من افواه المداخن ، المرسلة من قلبها ضباب الانسان الحالك السواد ، ليلتقي بضباب الله الناصع البياض ،

من لبنان الذاهب منذ الازل صُعداً نحو العلاء ، المستحم منذ الخليقة في الازرق الابيض من بحر الروم ، الى اميركا ، ابنة الامس ، صنيعة العقل المولّد ، والساعد المفتول ، ودمية المعدن والكهرباء ،

من الشرق ، مهد الانبياء ، والاديان ، والحضارات ، وينبوع الفلسفة والشعر ، شرق الشمس التي لا تغيب ، واللحن الذي لا ينقطع ، والعبير الذي لا يزول ، من الشرق النائم ، الحالم ، المتأمل في الطبيعة وما فيها من روعة وجمال ، الى الغرب الكادح الذي لا يكلّ ولا يتعب ، مستعبد المادة وعبدها ، قاهر الطبيعة ومنافسها ، ومسخرها آلة في يده ، وسلاحاً في يمينه . من هذه الصخرة اللبنانية العتيقة ، مفجرة الينابيع ، الواقفة ابداً منارة بين البحر والصحراء ، نفر الشاعر من صومعته كما ينفر الطائر من عشه ، وراح يملأ الارض غناء وتغريداً ، فانصت الناس ليسمعوا هذا الصوت الذي لا عهد لهم به ، والتفتوا ليروا هذا الطائر القادم من بعيد ، فسمعوا الريحاني يصيح في وجه الغرب :

« انا الشرق عندي فلسفات ، وعندي اديان ، فمن يبيعني بها طيارات ؟ »

أية صفقة عجيبة هذه التي تفتق عنها دماغ الريحاني ، وأي عرض مغر هذا الذي عرضه امين !

كيف لمعت في ذهنه هذه الومضة من ومضات العبقرية التجارية ، وليس من عادة الادباء والمفكرين ان يكونوا تجاراً ! لا بل من تقاليد الفكر ان يهزم المادة ، ويعادي المال ، فما من اديب اطل برأسه على عالم الصفقات والبيع والشراء الا اخفق اخفاقاً ذريعاً ، الا ان يكون غير مفكر ، وغير اديب ! واحسب ان اساطين الاعارة والتأجير قد حسبوا حساباً لكل شيء ، الا لهذه المقايضة الرائعة يعرضها الفتى العربي ابن الشرق ، ابن لبنان : طيارات ومدافع ودبابات ، مقابل فلسفات واديان !

يخيل اليّ ان الريحاني لو خاطب الغرب اليوم لخاطبه بقوله : ايتها المصانع التي تخرج دبابة كل ساعة ، وطيارة كل دقيقة ، ومدفعاً كل لحظة ، اعطيني مما تصنعين ، اعطك مقابل كل دبابة حفنة من حكمة سليمان ، وكل طيارة مقطعاً من صلاة ، وكل مدفع نفحة من دين !

ايتها المعامل الدائرة ليل نهار ، قد تنقطع عنك المواد الاولى ، وقد يضرب العمال ، او يفلس رب العمل ، فتكفين عن الانتاج . اما انا فبضاعتي متكدسة في عنابر تدعى الماضي والحاضر والمستقبل ، متراكمة في مخازن تسمى الرؤوس والقلوب والصدور ، ومعيني لا ينضب ، فتعالي نتبادل الغنى ، أليس العرض مغرياً ، والصفقة رابحة ، فلماذا لا نعقدها يا ترى ؟

من الينبوع

لكن اميناً ، رحم الله الامين ، لم يستطع ان يقنع الغرب بعرضه المغري ، اذ لم تكن له موهبة التجار وبلاغة البائعين ، فمات في حسرة هذه الصفقة الجبارة التي لم تتم بين الشرق والغرب ، واكبر ظني انها لن تعقد في يوم من الايام .

*

واليوم ، بعد ثلاثين عاماً ، يقف الشرق من جديد ، الشرق المتململ في قيوده واغلاله ، شرق لبنان المتوثب ، الذي انجب اميناً ، شرق العرب السمر الذين بعثوا به رسولاً يحمل الى العالم الجديد رسالة العالم القديم ، ليصيح في وجه الغرب الذي تغطي الارض دباباته ، وتكسف عين الشمس طياراته ، ويصم الآذان قصف مدافعه ، الصيحة الابدية :

انا الشرق ، ايها الغرب .

انا الشاعر والانسان والروح ، ايها التاجر والآلة والمادة .

فانفخ في جسدك من روحي ، واعطني وخذ مني . إنا كلينا اذن لرابحان !

رائد الفكر العربي الى العالم الجديد

بقلم سامي الكيالي
صاحب مجلة الحديث

■



الاستاذ سامي الكيالي
يلقي كلمته في الاحتفال بذكرى الريحاني

قبل نصف قرن او اكثر ، كانت البلاد العربية تغط في سبات عميق من الجهالات . وكان على المفكرين العرب ان يلعبوا نفس الدور الذي لعبه مفكرو فرنسا قبل ثلاثة قرون ، اي كان لا بد لنهضتنا الفكرية من ان يقودها ادباء احرار وقادة مصلحون يرسمون لها الطريق الواضح والنهج القويم ، فكان الافغاني ومحمد عبده والكواكبي والشميل وقاسم امين وصروف وزيدان والزهاوي في طليعة المفكرين الذين احسوا بواجبهم التحريري نحو امتهم ، وكان الريحاني ، وهو احدثهم عهداً بنهضتنا المعاصرة — في الرعيل الاول من المفكرين الذين عالجوا الامراض الاجتماعية بكثير من الجرأة . وكأنه قد اخذ يتم ما بدأه الكتاب الذين تقدموه

اكاد اسمع صوت امين ، من وراء الحدود ، يقول لعالم اليوم :
ما لي لا ارى فيك الا الخراب ولا اسمع الا تكسر العظام ، وتهدم المنازل ، ولا اشاهد الا مواكب المعذبين ، والمشردين ، والجائعين .

ترى ألم يكن خيراً لك ايها الغرب ان تعقد معي تلك الصفقة التي عرضتها ، لعل نفحة من روحانيتي تخلص البقية الباقية من مدنيتك ، او لعل نسيماً يهب من جانب لبنان ، وضفاف الفرات ، وصحارى نجد ، يقضي على هذه الجراثيم الفتاكة التي تنخر جسمك وتكاد تودي بك ايها الغرب !

لكن الغرب لم يسمع صوت امين حياً ، فكيف يسمعه ميتاً ؟

***

كان القرن العشرون يحبو طفلاً حين هجر امين لبنان ضارباً في فضاء الله الواسع هرباً من عبوديات ثلاث :

عبودية السياسة ، وعبودية الادب ، وعبودية الطائفية . وكانت الرسالة التي اداها ثورة شنها بقلمه ولسانه لتحطيم اغلال هذه العبوديات الثلاث .

ثار امين على المستعمرين ، في زمن كان فيه استعمار الشعوب للشعوب هو القاعدة ، وكانت الحرية ، ولا سيما في الشرق ، هي الشذوذ .

وكان وهو يعمل على تحطيم القيود عن عنق لبنان ، يحاول تكسير الاغلال التي تقيد كل بلد عربي . واكبر ميزات الريحاني شمول رسالته ، واتساع آفاقه ، وشعوره شعور اللبناني ، العربي ، الشرقي تجاه الغرب المنيخ بقوته وجبروته على صدر هذه الرقعة من العالم التي تسمى الشرق .

وثار على عبودية الادب حين انشأ على ضفاف الهدسون ، مع رفاقه جبران ، ونعيمه ، ومسوح ، وعريضه ، وابي ماضي والشاعر القروي وغيرهم وغيرهم الاندلس الجديدة او قل مدرسة الادب العربي الحديث التي كانت جسراً عبر عليه كتاب العرب وشعراؤهم من ضفة التقليد الى ضفة التجديد .

وثار على عبودية الطائفية حين حذر ابناء الشرق من الانقسام بسبب اختلاف الاديان .

ترى ! هل خمدت نار الثورة ، ام وقف الكفاح ؟ .

وهل هذه العبوديات الثلاث التي ثار عليها امين قد انقلبت في هذه الثلاثين سنة حريات ثلاثاً ! ولا اقول حريات اربعاً ؟ .

هل تحرر الشرق ، او تحرر لبنان وتحررت بلدان العرب من عبودية السياسة ، وعبودية الادب ، وعبودية الطائفية الهدامة ؟ .

كلا . ثم كلا ! ان الثورة مستمرة والكفاح لم ينته بعد .

وان فضل امين ، والعباقرة امثال امين ، انه القى في ثرى لبنان ، وفي كل تربة عربية ، بذوراً للزارعين .

ان في بردي الريحاني ، ولا شك ، لنفحة من النبوة !.

خليل تقي الدين

بكتاباتهم الوثيقة الاتصال بكتابات المفكرين الافرنسيين في القرن الثامن عشر مثلاً ..

نشأ نشأته الاولى شاعراً يعيش في اكناف الطبيعة وفي ظلالها الوارفة — في وادي الفريكة المهيب الجميـل ، العميق الملتوي ، الكثير الزوايا والاسرار ، ولكن نشأته الشعرية هذه لم تبعده عن حقائق الحياة التي تواجهنا كل يوم وكل ساعة بزحماتها القاسية . نعم ، لم يأو فيلسوف الفريكة الى واديه كالنساك المنقطعين عن الحياة بل كان يبتعد احياناً عن البشر ليفكر في اكاذيب البشر ، كان يبتعد عن الانسان ليفكر في اصلاح الانسان ، كان يتخذ من نظام الطبيعة الذي احكمته القدرة الازلية درساً بليغاً فيوقظ ضمير الفرد ووعي الجمـاعة ، ولقد صرخ في وحدته صرخات داوية ، منادياً الناس على اختلاف مذاهبهم ونحلاتهم ان يقتلعوا من انفسهم نزعة الشر ، وان يزرعوا اطيب الثمر .. كانت اهداف الخير هي التي تستثيره للكتابة فكتب في هذه المواضيع كثيراً وخطب اكثر .. وكأني به ، لنزعة الخير المتأصلة في صميم نفسه ، كان يحلم ان يرى البشر مجموعةً من الانسانيين بما تحتويه هذه الكلمة من دقة وشمول ، ويظهر انه اعتمد حسه الانساني حين صرخ صرخاته الداوية من اعماق واديه فقـاده هذا الحس الاصيل الى تصور البشرية مجموعة متآلفة من الحب والاخاء ، لا يعرف افرادها الحقد والدس ، ولا الكذب والختل ، وبذلك فاتته فلسفة استاذه ابي العلاء في سبر كنه النفس البشرية ، اي فاتته ، لنزعة الخير المتأصلة في نفسه كما قلت ، ان الشر في طبيعة البشر اغلب من الخير ..

مرّ الريحاني بهذا الطور من حياته الادبية الاولى — هذا الطور الذي يمر به كل اديب صافي الخيال ، عميق الوجدان ، زاخر الاحساس ، فكان لا يشغله غير صلاح النفس الانسانية ، وكتابه « الريحانيات » صدى لجميع فلسفته في الكثير من عللنا الاجتماعية ، فمن اعماق واديه خاطب الطبيعة وناجى الله ، تحدث الى الانسان وهمس في آذان الجماعات ، ومن اغوار نفسه انبعثت صيحات تقدس الحق والحرية وتناصب الظالمين العداء . نعم ، من اغوار الوادي ، وعلى شرفات المنابر انبعثت صيحـات مختلفة تعالج مشاكل الفقر وتعطف على البؤساء والمفلوكين ، تكافح العتاة وتحارب المشعوذين من رجال الدين — صيحات تعالج امراضنا الاجتماعية والطائفية — فقد عالج هذا المرض الاخير برفق تارة وبقسوة تارة اخرى ، وتمنى كثيراً ان يكون بيده مشرط حادٌ يبتر هذه العلل ، وقد بتر الكثير منهـا بدون رحمة ولا شفقة .. وحسناً فعل ..

هكذا بدأت حياة الريحاني الادبية ، وقد ظل في جميع اطوار حياته ، في لبنان ، في بلاد المهجر ، في رحلاته الى بلاد العرب ذلك الاديب المصلح الذي ينشد الاصلاح المطلق — اصلاح الفرد والجماعة ، اصلاح الامة والحكومة معاً — اي كان ادبه مرآة صادقة لميوله الاجتماعية . ولا عجب ان يتجه الريحاني هذا الاتجاه ، لان الادب عنده وسيلة لا غاية — وسيلة لاسعاد الامة وتوفير هناءتها ، لازالة الغشاوة عن ادمغة افرادها ، وهذا الذي حفزه ان يخاطب الافهام بمختلف النبرات ، وان ينتقل في عوالمه الادبية من افق الى افق ، من افق الشاعر الخيالي الى منبر المرشد الحكيم ، من صومعة الفلاسفة الى كهوف الصوفيين ، كان ادبه مزيجاً من الفلسفة والشعر ، من الصوفية والحب ، من الواقعية والخيال ، من زرقة البحر وصفاء السماء ، من جمال المدن واربداد الصحراء ، من مادية الغرب وروحانية الشرق ، مما في نفسه من فيض واشراق وما في قلبه من حب ووجد ، لقد مزج الريحاني كل هذه الظلال والتلاوين ، واعطانا ادباً انبثقت من دنياه شتى الالوان والاصباغ ، وشتى الطيوب والاعراف .. تميز ادب الريحاني بكل هذه العناصر كما تميز الريحاني المفكر عن الكثير من الادباء المعاصرين بجرأته — جرأة الثائر المجدد ، الثائر على الكثير من العادات والتقاليد ، والمجدد لمناهج البحث وطرائق التفكير ، كان حريصاً — رحمه الله — ان يكتب الواقع كما يتراءى له من سجوف الحقيقة ، فعندما اصدر كتابه « النكبات » قامت دنيا العرب عليه وقعدت .. كيف يكشف الريحاني عن سوءات الاجداد ؟ كيف يمس حرمة الماضي ؟ ما له وللعب بهذه الحرمات المقدسة ؟ لقد هوجم اقسى هجوم ! فماذا كان رده ؟ تابع رسالته الحرة في ايقاظ الحس العربي ، وفي رفع الغشاوة عن الفكر العربي .. وكأني به كان يقول لهم ويحكم أتشكون بحب الريحاني لبني قومه ؟ أهذا جزاء من يقف نفسه على خدمة العرب حين يجهر بالحقيقة ؟ لا بأس فسترجعون عن غيكم قريباً الى منهج الصواب ! كان يخاطب ناقديه بهذا الاسلوب الرحيم — اسلوب الفيلسوف المحب ، المتغاضي عن الهفوات . والواقع ، ان احداً لا يمكن ان يرتاب بحب الريحاني للعرب ولكل مـا هو عربي ، وما كان غرضه من هذا الكتاب الا مواجهـة الوقائع التاريخية كما هي ، واثارة فلسفة القوة في ضمير الشباب العربي لمجابهة الحقائق دون خوف ولا وجل ..

قد يقول الكثيرون بضرورة تمجيد الماضي لاذكاء حماس الشعوب ، وهذه ضرورة انبثقت في عصرنا هذا — عصر القوميات ، ورأينا اكثر من امة واحدة قد خلقت من الاساطير والاضاليل

مجداً قومياً كاذباً ، وما كان الريحاني ليجهل ذلك ، وكل ما اراده ان يقوم تمجيد ماضينــا على معرفة بواطنه وخفاياه لتكون نهضتنا القومية وطيدة الدعائم ، لا تهزها العواصف ولا تزعزعها الاعاصير .

ورحلته الى بلاد العرب لم تكن الا في سبيل وحدة العرب .

لقد جاء من وراء البحار . ومن اقاصي الديار عملاً بعاطفة لا خير للناس بسواها ، ولا عزّ للامم بدونهــا ، يقول فقيدنا الغالي وهو يخاطب احد ملوك العرب بعد ان سأله عما اذا كان سنياً ام شيعياً :

« اننا مها استرسلنا بحب الانسانية المطلق لا ننسى اذا كنا منصفين حب الوطن الخاص ، وهذا الحب يحملني اليوم على السياحة في البلاد العربية ، فاني ، وان كان لبنان وطني الصغير ، وسورية وطني الكبير انتسب الى البلاد العربية وطني الاكبر ، واني ، وان كانت المسيحية ديني ودين اجدادي ، ادين بدين كل من اقام حقاً وازهق باطلاً بل ادين بدين فلاسفة العرب وشعرائها الكبار كالغزالي والفارض والمعري ، بل ادين بدين كل من قال بالوحدة العربية ، وتجديد مجد العرب ، وسعى في هذا السبيل سعياً شريفاً خالصاً لوجه الله ، فمن اعز العرب ، اعز ، يا مولاي ، الاسلام » .

ان نزعة الحب — حب قومه ، هي التي دفعته ان يطوف في ارجاء العالم ، كالصوفي الذي تثيره احلام الحب وهجسات الوجد لان يطوّف في افاق الكون ، كان حنينه الى الجزيرة العربية اشد من حنين الصوفي الى وجه ربه . ورغم المصاعب التي كانت تعترض طريق سفره . ورغم جميع النصائح التي ازجاها له خلص اصدقائه الذين صوروا له الجزيرة العربية واحة من السعير .. ورغم تنصل الهيئات الرسمية من تحمل كل مسؤولية تقع عليه فيما اذا ارتمى في احضان الجزيرة — رغم كل ذلك فقد سافر مطمئن القلب دون ان يعبــأ بالشدائد والاهوال ولا بالموت الذي صارعه مرات . نعم ، سافر الريحاني الى جزيرة العرب في سبيل وحدة العرب ، واذ خاطب الملوك والامراء خاطبهم دون مواربة او رياء ، خاطبهم بنزعته الحرة دون خوف او وجل ودون ان يداخل قلبه اليأس ، كانت رحلته في سبيل الدرس وايقــاظ وعي الجزيرة للغايات المثلى ، ولتكون عصرية المنزع ، موحدة الاهداف ، مؤتلفة الاماني .

لقد كانت شخصية الريحــاني من القوة والاتزان بحيث لم يتلجلج لسانه قط في اعلان الحقيقة مها كانت قاسية ومها كانت مرة المذاق . كانت نزعاته الفلسفية تقوده دائماً الى اعلان الحق ، وكان لا يرى اي ضير في الرجوع عن رأي غير صحيح ارتــآه بالامس ، وهذه طبيعة المفكرين الاحرار .

« ان الهوس غالباً ضلال ، والعناد في غير الحق قتــال ، وان امرءاً يرتأي رأياً او يعتقد اعتقاداً ثم ينبذه اذا تحقق فساده لاكبر نفساً ولاشد جرأة من المستبسل في ساحة الوغى . أجــل ، ان الجرأة الادبية هي ان نقول الحق في ما يتجلى لنا منه ، وان كان قولنا اليوم ينفي قولنا بالامس » .

هذه كانت عقيدته ، وهــذا نهجه في اعلان آرائه الحرة .. وقد احاطته هذه الصراحة بالاشواك .. ولكنه كان يدوسهــا بقدمين جبارتين ، مرتفعاً عن ركام الاوشاب التي هي رأسمال الكثيرين من المخبولين وضعاف العقول الى ذروات الحق والمثل العليا .

جاءه يوماً احد كبار الشعراء الذين ينظمون على طريقة شعراء عصر الانحطاط ، وهو شاعر له مكانته عند ادباء الصنعة ، واسمعه قصيدة من قصائده الغر — وكان الشاعر ضيفه في الفريكة — فلم يتمالك ان قال له ، بعد ان سمع هذه الملحمة غير الخالدة طبعاً — لم يتمالك ان قال له بكثير من نبل الخلق وسعة الصدر : ان ما قلته يا صاح في ثمانين بيتاً يقوله شاعر من شعراء الشباب في شطر من البيت الواحد .

لقد زلزل الريحاني دعائم ادب هذا الشاعر النحرير ، ولم تمنعه آداب الضيافة ان يفاجئه في جو من المزاح هــذه المفاجأة المرّة القاسية .. ولا عجب فان اخلاصه للادب كان اقوى من مراعاته لفروض المجاملات التي تقوم على ركام واه من الرياء .

هي الحقيقة التي تنشدها نفسه ، كان يعلنهــا قوية صريحة ، وعكازته في تقويض الاصنام الخاوية : قل كلمتك وامش .. وقد ذهبت هذه الكلمة التي تتمثل في كل حرف من حروفهــا الجرأة والاخلاص — مثلاً حياً على ألسنة الادباء المعاصرين ..

وهذا الذي يحملني ان اقول ان جرأة الريحاني وصراحته همــا اقوى عناصر شخصية .

كان ، رحمه الله ، رائداً من رواد الحضارة الحديثة الى كل صقع عربي كما كان رائداً من رواد الفكر العربي الى العالم الجديد وقد آمن طوال سنوات جهاده بفكرة مثالية لم يحد عنها — فكرة التسامي والتجرد ونبذ التعصب ومواجهة الحقائق ، فعمل لها بايمان واخلاص ، وما زال حتى توارى تخسر العرب بموته ابلغ الكتاب الواقعيين ، واجرأ الادباء المفكرين الذين عملوا لمجد العرب ولحرية الفكر اربعين سنة كاملة دون ان يخفت له صوت فأدى رسالته احسن اداء .

حلب — سامي الكيالي

المرأة عند الريحاني

بقلم السيدة املي فارس ابرهيم

عقل "خيّر" حلل في معقدات المجتمع الانساني فدقت في ضميره المرهف كل صغيرة وكبيرة من مشاكل الانسان، وقلب كريم اثارته العوائق المصطنعة التي تحول دون انطلاق الانسان انطلاقاً حراً في مدارج الحياة، وحر "دوّت غضباته الصارخة في ارجاء الفكر العربي فهزته هزات عميقة واشعلت فيه لهب التحرر والانعتاق من قيود الاستعباد. وفيلسوف شعبي لم يترفع عن الانحدار في اغوار مجتمعه ليتلمس ادواءه ويعالجها بجرأة وعنف كثيراً ما جاور الصلف فوصفته النفوس الخانعة بالفيلسوف الهدام والمبشر الاباحي.

ولكن امين الريحاني كان انساناً، وفيلسوفاً حراً تجند في معسكر الذود عن الكرامة الانسانية والقيم البشرية. فدعا الى تحطيم الانيار التي تقيد بها القوى المختلفة اعناق البشر وابى ان يهان الانسان في اقدس حقوقه البديهية الطبيعية في حريته.

ولم يترفع باسم حرمة الفكر، عن الجهر بصراحة صاعقة بمسببات ادواء مجتمعه، ولم يترفع، باسم هذه الحرمة الزائفة عن معالجة قضايا بلاده ومجتمعه، هذه الحرمة التي يتسلح بها بعض الكتاب ليبرروا موقفهم اللا مبالي من بعض قضايا بلادهم ومجتمعهم، زاعمين ان مهمتهم انما هي اسمى من ان تقتصر على هذا الاهتمام المحدود وان رسالتهم انسانية شاملة تهدف لاسعاد البشرية جمعاء.

والريحاني لم يتناس ان انسانية مثلى من هذا النوع الذي لا يفرّق فيها بين ابناء البشرية، انما دمغها نضال طويل عنيد، يترتب على كل الهيئات الفكرية في العالم ان تتعاون على القيام به كلٌ فيما يختص في بيئتها، فتصلح مجتمعها الخاص كي لا يضيع نضالها الفكري في عالم النظريات الفسيح الارجاء.

قلت ان هذه الحرمة زائفة، لان المفكرين الذين يتسلحون بها هم من الذين يخشون تحمل المسؤوليات المعينة الذين يجفلهم كل نضال يستوجب مجابهة تيار الضلال والقضاء عليه، ويتفنن بالتسلح بها الذين يلبسون لكل مرحلة حلة، فلا يستهويهم الجهاد الفكري التوجيهي، لان هذا الجهاد يتطلب الجهر بآراء واضحة يصعب الجحود بها فيما بعد.

وقولي هذا لا يعني ابداً اني انددبالتفكير الانساني الشامل او اني احتقر حرمة الفكر الخيّر النبيل الذي يسعى الى اسعاد الانسان اطلاقاً، اني ابعد الناس عن ذلك، غير انه لا يمكنني الا ان ألمس سوء النية في الذين لا يعترفون بان هذا التجريد، انما هو تجريد خاطئ في معالجة مشاكل الانسان والعمل على اسعاده، ما دامت في الدنيا قوميات مختلفة تدين بمذاهب ونظم مختلفة وتتأثر بتقاليد وعوامل مختلفة، فمهمة الكتاب والمفكرين والفلاسفة المخلصين لبلادهم هي اذن الاهتمام بمشاكل مجتمعهم الخاص وتوجيه افراده توجيهاً صحيحاً بالنسبة الى بيئتهم ونظمهم. وعملهم هذا لا يصرفهم عن تأدية رسالتهم الانسانية الشاملة، لان العمل على ترقية كل مجتمع، انما هو خطوة نحو الارتقاء الانساني الشامل.

هو النهج الخفاق بالحق ما سلكه فيلسوف الفريكه. وكان في جملة المشاكل التي حزّت في نفسه واقلقتها مشكلة المرأة الشرقية فسعى الى معالجتها في مقالاته وخطبه ومؤلفاته. وقد يصح ان نتخذ من آثار الامين روايته «خارج الحريم» لنرسم صورة عامة لرأيه في مشكلة المرأة في بلادنا. فقد توغل الريحاني وهو بعد في مطلع الشباب، في قلب المجتمع التركي الارستقراطي الذي كان مثالاً تستوحي منه الاوساط العربية الراقية منهجها في الحياة — وبلاد العرب يومئذ جزء من الامبراطورية العثمانية الضخمة — فاثخن الريحاني في تقاليد ذلك المجتمع بلسان بطلة الرواية جهان تستمع المرأة العربية صوتها.

وجهان فتاة من اعرق اسر تركيا، آلت على نفسها ان تحرر المرأة في بلادها من سلاسل العبودية التي كانت تقيدها.

وقد احست يوماً على اثر رؤيا تراءت لها، ان عليها رسالة وكلت بها اليها بنات جنسها وابناء وطنها، فيلتقي الريحاني هنا



امين الريحاني

مع كثير من الفلاسفة الذين يشعرون دائماً بهوة سحيقة تفرق بينهم وبين افراد مجتمعهم — هوة تحفرها فوارق في تفهم الامور وتحسس الاشياء — فيؤدي ذلك الى كبح جماح انطلاقهم العقلي الذي لا يلبث ان ينتهي ، في ساعات اندفاع فكري عنيف الى الافلات من كل القيود والتأثيرات الملازمة لهم ، فيتراءى لهم في مثل هذه الساعات كأن صوت الوحي يدعوهم الى تأدية رسالتهم .

وهكذا تحاول جهان ان تؤدي الرسالة التي وكلت اليها امها وبنات جنسها امر القيام بها ، يوم تراءين لها في ساعة اندفاع فكري عنيف ، تحاول ان تؤديها بجرأة وكبر . وشاء الريحاني ان ترتكز عقيدتها في نضالها على علم صحيح ووعي ديني وقومي سام ثابت ، وعي كان يدفعها دائماً الى العمل على التوفيق بين تقاليدها القومية التي ما سخرت الا من التي لا قيمة فكرية لها ، وقواعد دينها التي ما تمردت الا على التي تنتسب بخطأ الى دينها الذي تجل ، عملت على التوفيق بين كل ذلك وبين السير في طريق التطور والتحرر الحبيبين الى النفس الحرة .

ويسير الريحاني بجهان بطلة رواية « خارج الحريم » ، وقد تقاذفتها عوامل متناقضة : حبها للحرية واحتقارها للتقاليد العقيمة ، وحبها العميق لوالدها الذي يمثل الشيء الكثير من تلك التقاليد ، الى ان ينتهي بها الى الاستسلام لقائد الماني كانت تأمل الافلات معه من القيود الثقيلة على نفسها . ثم لا تلبث ، على حد تعبير الريحاني « ان تدرك انها ضحت في لحظة ، شرفاً حفظته سنين ، فكانت هي الحقيقة الهائلة الجارحة التي البستها العار والاثم » .

ويستطرد بوصف هواجس جهان واضطرابها في غرفتها فيقول : « وهناك ، على منضدتها ، كتبها ومجموعة اوراقها ، وفوق المنضدة لوح ذو اطار عليه آية قرآنية في الزواج ، طرزته بيدها تطريزاً بديعاً ، تطريزاً من الذهب على حرير ازرق سماوي اللون ، اما الاية فهي : « فان خفتم الا تعدلوا فواحدة » قرأتها مرة اخرى وهي تردد فواحدة !! واحدة !! وما عسى ان يكون عدل الرجل نحو المرأة ؟

يود الريحاني ان يشير الى عامل من العوامل الاساسية التي كانت تثير في نفس جهان الغضبات العنيفة والتي قادتها في ساعة جنون الى الانتقام .

واخشى ان يطول بي الشرح اذا استرسلت في الاستشهاد والتعليق والتدليل على نزعة الريحاني التطورية والاصلاحية في قضايا مجتمعة وفي قضية المرأة . فحسبي ان اخبركم ان هذا النزاع العنيف الذي كان يتجاذب جهان بعوامل متناقضة تثير حيناً نفسها الطموح وتجرها حيناً الى الاذعان ، ان هذا النزاع العنيف انتهى بها الى قتل القائد الالماني ثم الى قتل نفسها بعد ان توجهت بهذه الكلمات ذات المغزى الى والدها وهي تلفظ نفسها الاخير :

« ابتاه ، اصفح عن ابنتك ، سيدي ان الوحش الاشقر لم يجيء ليفاخر بانتصاره ، ابتاه لقد ذبحته بسيفك » .

فاين التهديم والتبشير بالاباحية في فلسفة الريحاني ؟ فهو حاول ان يكون مصلحاً بدعوته الى تفهم روح الشرائع وجوهرها مبدداً الضلال الذي يهيمن على تنظيم المجتمع العربي ويعزله عن حركات التطور في العالم . وحاول ان يشير بشتى الوسائل والطرق الى السلاسل الظالمة التي تقيد ، من غير حق ولا عدل ، عنق الانسان الذي خلق حراً ويجب ان يعيش حراً .

لقد حمل الريحاني مشعل الحرية يضيء به سبيل الجيل العربي الجديد السائر نحو الارتقاء والتكامل الانساني .

وما استمع قلب حر الى صدى صوته في كتبه حتى شعر بنزعاته الانسانية السامية تنبض من خلال السطور .

وحسب الريحاني شرفاً وتخليداً انه معلم الجيل في اقطارنا .

اميلي فارس ابراهيم

تقليد الملوك والوزراء بالملابس والازياء

بقلم صلاح الدين المنجد

✯

يقول الدكتور « لالو » في كتابه عن « الفن والحيـاة الاجتماعية » ، ان العامة مطبوعة على تقليد من هو ارفع منهـا مكانة ، وأعلى شأناً . لا سيما تقليدها في ملابسها وازيائها ، وفي كل جديد ، يصدر عنها . ليصدق قانون التقليد الذي نوّه به « تارد » ، من وجود مخترعين يضعون الازياء ، ومقلّدين يتبعون ما وضعوه . فواضعو الازياء ، هم ، على الاغلب ، المترفون الارستوقراطيون ، من الملوك ، والامراء ، والوزراء ، والاغنياء . فهؤلاء يفتنّون باختراع زي (مودة) ، فاذا رأته الطبقة المتوسطة او العامة ، حلى ذلك في اعينهم ، وأحبوا تقليده . وتمر برهة يعم الزي فيها ، بين الطبقات كافة . وعندئذ تخترع الطبقة المترفة زياً جديداً يميزها من غيرها . وما يزال هذا التبدل في الازياء مستمراً ، مـا دامت الطبقات الاجتماعية باقية .

ويغلب حب التقليد عند النساء ، على الرجال . فلن تجد آخذ لعقولهن ، ولا اجذب لاسماعهن ، من منظر ازياء المترفات ، والتحدث عليها . ولعل هذا التقليد طبع يخالط اللحم والدم ولقد صادفتُ منهن من تجوع لتلبس لبسة فلانة او فلانة من المترفات ، وتستدين لتحلى حلية بنت الكبير او خليلة الوزير . وتجد في ذلك التقليد ، من اللذة والزهو ، ما ينسيها ألم الجوع ، وعار الدين .

✲

ولست احب ان استفيض في سوق الادلة . الا ان هـذه الظاهرة تبدو واضحة جلية في العصر العباسي . نستطيع ان نأتي بامثلة منها .

فقد ذكروا ان يعقوب بن داوود ، وزير المهدي ، كان له طراز خاص من الطيلسانات والقلانس ، قلّده الناس فيها ، وانتشر هذا الطراز . فلما غضب عليه المهدي ، نادى في اصحابه : لا يوجد احد عليه — لانه طراز الوزير في اللبـاس — طيلسان يعقوبي ، وقلنسوة يعقوبية ، الا أخذت ثيابه .

وذكر ابو الفرج ان عليّة بنت المهدي ، كان في جبينها فضل سعة تسمج به . وكانت علية اديبة ، ظريفة شاعرة . فاخترعت ، وهي الاميرة ، العصائب ، وجعلتها على جبينها ، ورصعتها بالجوهر والدر ، فقلدت النساء جميعاً عصابة الاميرة ، وانتشرت العصائب انتشاراً كبيراً ، وتفنن النساء بعدها بتزويقها وزركشتها ، فلم يُر فيما ابتدعت النساء اجمل ولا احلى مما ابتدعت عليّة .

وهذا يذكرنا بالمركيزة دُبومبادور . فقد كانت تلبس الزي ، فيتبعها نساء البلاط ، ثم سائر نساء الناس .

وكان جعفر بن يحيى ، على قول الجهشياري ، طويل العنق . وكان اوّل من عرّض الجربّانات ، وحشاها بالقطن . فاستملحها الناس ، ولبسوها مثله ، ونسبوهـا اليه . فكانوا يقولون : انه يلبس جرباناً برمكياً .

ولما افضت الخلافة الى الامين ، قدّم الخدم وآثرهم فلما رأت أم جعفر شدة شغفه بالخدم ، واشتغاله بهم ، اتخـذت الجواري المقدودات ، الحسان الوجوه ، وعمّمت رؤوسهن ، وألبستهن الاقبية والمناطق . فماست قدودهن ، وبرزت اردافهن ، وبعثت اليه بهن . فاختلفن بين يديه ، فاستحسنهن ، واجتذبن قلبه اليهن ، وابرزهن للناس من الخواص والعوام . قال المسعودي : فاتخذ النـاس مثله الجواري المطمومات ، وألبسوهن الاقبية والمنـاطق ، وسمّوهن الغلاميات .

ويحدثنا الشابشتي ، صاحب الديارات [1] ، ان عريباً ، المغنية المشهورة ، ووصيفة الامين ، رؤيت ، وهي في سن سبع عشرة سنة ، تلبس القباء والمنطقة ، وتقوم على رأس الامين .

وزبيدة كانت اول من رصع الخفاف بالجوهر ، ولبست الثياب الموشاة المنسوجة بالذهب . فقلدتها النساء في ذلك ايما تقليد ، وشاع وانتشر .

✲

وكان المنصور قد احدث لبس القلانس الطوال ، وفرضها على

(١) كتاب نادر ، ضبطناه ، وعلقنا عليه ، واعددناه للنشر

الضحك عند برغسون

تلخيص مع بعض الاقتباسات — بقلم ابو مدين الشافعي

ماجستير في علم النفس من جامعة فؤاد الاول

لقد حاول – قبل برجسن – عدد كبير من المفكرين معرفة اسرار الضحك وبواعثه . غير اننا لا نجد احداً – قبل برجسن – بدأ البحث في الضحك الا وهو ينظر اليه كعرض في الانسان اي كشيء كمالي ليس له من الاهمية الا علاقته بالانسان ودلالته على حالة الطمأنينة والسعادة . وان كانت له علاقة بالمنطق ، فهي علاقة عكسية تدل على وجود تناقض او غلو او غرابة – وكل تلك المحاولات كانت حقاً فاشلة ، فبعضهـا لم يدرك اي اساس حقيقي للضحك ، والبعض الآخر ادرك ناحية خاصة وجزءاً فرعياً لا يمكن ان يكون اساساً حتى نحاول استخراج السر منه .

لا شك ان وصول برجسن الى سر الضحك الحقيقي ، وابداعه في التعبير عنه او توضيحه كله راجع الى تعمق برجسن في معرفة سر الحياة من جهة ، والى شدة العلاقة بين الضحك وسر الحيـاة من جهة اخرى . ولا اكون قد نقصت من قيمة اكتشاف برجسن اذا صرحت انه وصل الى سر الضحك بالصدفة وعرضاً اثناء بحثه في سر الحياة ، وتاريخ العلم يثبت ان اكبر عدد من الاكتشافات الخطيرة ظهرت لاصحابها صدفة . واقرب موقف برجسن في الضحك من موقف العلماء المكتشفين المخترعين لان برجسن اكتشف ، واكتشف حقيقة علمية لا تقل في الاهمية عن اي اكتشاف آخر في ميدان العلوم المادية .

سلط برجسن ملاحظته على كل ما نضحك منه ، وجمع كل الاحوال المضحكة ، وحاول ارجاعها الى قانون عام شامل يعبر عنها كلها وترجع اليه كلها ولم يلبث برجسن باحثاً حتى ادرك كل الفروع التي تتفرع عن الاساس والقاعدة الكلية التي وصل اليهـا باستقراء احوال كثيرة . فلم يبن برجسن بحثه على المنطق او على ناحية خاصة من النواحي الفنية ، بل بدأ برجسن يتأمل الحقـائق نفسها – تتبع الضحك فوجـد ان الذي يضحك لا بد ان يكون متصفاً بصفة انسانية ، فالشيء الذي يضحك هو شيء فيـه صفة

الناس . فهزأ ابو دلامة من هذه القـلانس التي تشبه الدنان ، فأبطلت . فلمـا جاء المعتصم ، وكان ميالاً للتشبه بالاعاجم في ملابسه . اعاد لبس هذه القلانس الطوال تشبهاً بملوك الاعاجم ، فلبسها الناس تشبهاً بفعله ، وسميت : المعتصميات .

فلما جاء المتوكل ، اظهر لباس ثياب المُلحَم ، والملحم ثوب مسدود لا فتحة له ، وفضل ذلك على سائر الثياب . واتبعه من في داره على لبس ذلك ثم انتشر هذا الطراز من اللباس ، وشمل الناس لبسه ، وسميت : الثياب المتوكلية .

ويظهر ان المستعين لم يرض عن القلانس الطوال ، فلما جاء ، صغرها . فانتشرت القلانس الصغار بين الناس تشبهـاً وتقليداً . وأحدث الكمام الواسعة ، فجعل عرضهـا نحو ثلاثة اشبار ، فسار الناس على لبسها .

فانت ترى شغف الناس بتقليد ازياء ملوكهم ايام بني العباس . وما كان يومئذ ، تجده في كل وقت ، وعصر ، ومكان . ولقد رأيت ما علل به التقليد « تارد » ، وما ذهب اليه « لالو » ، ولابن الطقطقي ، صاحب الفخري في الآداب السلطانية ، رأي يقارب رأي « لالو » فقد قال : « والحق ان النـاس يتبعون ملوكهم في زيهم ، ويقلدونهم في لباسهم ورسومهم وآدابهم ، لان انفسهم مطبوعة على تقليد من هو ارفع منهم » ثم يضيف الى ذلك فكرة جديدة فيقول : « ولانهم علموا ان زيهم الاول مستهجن في نظر الخلفاء ، فتقربوا اليهم بزيهم . . . » .

دمشق — صلاح الدين المنجد

مضحكة في انسان ، ووجد ان الضحك لا يصدر من الانسان الا اذا كان هذا في حالة هدوء ، بعيداً عن كل انفعـال ، ووجد ايضاً ان للضحك وظيفة كبرى يؤديها للانسانية ، فهو سلاح صارم يستعمله المجتمع ضد كل شذوذ اجتماعي ، وكل ابتعاد عن الحياة التي تمتاز بالمرونة – فتكون القاعدة العامة التي ترجع اليهـا كل الاحوال المضحكة هي ظهور اي ميل للتجمد والآلية في الحي .

ونستطيع ان نفرق بين نوعين من الحالات المضحكة : حالات طبيعية وحالات اصطناعية ، فالحالات الاصطناعية هي تقليد لبعض الحالات الطبيعية ، وهي تدل على ان بعض الناس تنبهوا الى بعض اسباب الضحك واستعملوها لاحداثه في اوقات مختلفة فالذين يحترفون الاضحاك زوّدوا بقوة خاصة في ملاحظة الحالات المضحكة وزوّدوا بقدرة في تقليد الحـالات الطبيعية . ولكن برجسن اقتصر في كتابه على دراسة القاعدة العامة التي ترجع اليها كل الحالات الطبيعية للضحك ، وان كان حاول ان يتكلم عن المهزلة او التمثيل المضحك (الكوميدية) .

في الكلام عن المضحك عموماً وضح برجسن علاقة سر الضحك بسر الحياة ، فاذا قارنا بين موقفنا امام جسم رشيق ، خفيف الحركة ، سريع التكيف ، متغلب على الموقف يحقق غرضه بسهولة غريبة ، فانا ننظر اليه نظرة اعجاب ، ويبدو لنا جسمه رشيقاً جميلاً نرتاح لرؤيته ولا نكتفي من مشاهدته . واذا كان جسم له من الصفات عكس ما للاول بحيث انه متجمد ، بطيء الحركة ، بطيء التكيف ، حائر ، ضعيف امام الموقف ، يجد في كل شيء صعوبة ، فاننا ننظر الى هذا الجسم نظرة فيهـا سخرية واستهزاء ، ويثير منظره الضحك ، خصوصاً اذا اعتقدنا هذا الجسم قادراً على اكتساب الصفات التي اكتسبها الجسم الاول . اذن نستطيع ان نقول بصفة عامة ان الضحك ينشأ عادة من ظهور صفات التجمد المادي الآلي في الجسم الحي الذي يتصف عادة بالتلقائية والتكيف .

ويذهب برجسن الى ابعد من هذا اذ يحـاول ان يبين ان الضحك الذي هو لا شعوري والذي يحدثه التجمد او شرود الذهن ، فهو سلاح يتسلح به المجتمع ليقـاوم به جمود الافراد ، لان ذلك الجمود يعوق اتصال الافراد وانسجامهم في مجتمع واحد متحد . فالضحك يهذب العـادات والاخلاق ، والانسان لا يقوم باشياء يعرف ان الناس يضحكون منها . وبهذا يتضح ان الضحك ليس فناً محضاً وانما هو بين الفن والحياة .

ولكنا نجد بعض الاشكال تثير الضحك من نفسها ومن اول وهلة ، فكيف نستطيع ان نعلل ذلك ؟ يرى برجسن ان الاشكال المضحكة هي الاشكال الـتي يمكن لشخص كامل البنية ان يقلدها بتشويه خلقته . بعض الوجوه تبدو دائماً ضاحكة او باكية او كأن الشخص يصفر دائماً . ونضحك من شخص احدب لاننا ننسب ذلك الى عدم عنـايته باستقامة جسمه وتعنته وجموده على حالة واحدة . بخلاف الاجسام او الوجوه التي لا نرى فيها تغلب حالة واحدة فنشعر فيهـا بحيوية اكثر وضوحاً . وتدل على ان الشخص كثير الحركة سريع التعلم كثير التمرين . فالافعال العضلية في الوجه او التعبير العضلي تدل على حالة نفسية حية فهي سريعة التغير ، وكلما تأخرت اشعرتنا بجمود مناف للحياة واثارت الضحك .

وكذلك فيما يتعلق بالحركات الجسمية على العموم ، يرى برجسن ان « مواقف الجسم الانساني واشاراته وحركاته تكون مضحكة في الحدود التي يشعرنا الجسم فيها انه آلة بسيطة » اهم اوصاف الحياة المرونة ، فاذا نحن لاحظنا على جسم مـا في موقفه او اشاراته او حركاته اي نقص في هذه المرونة خيل الينا انه قريب من الآلية ، وذلك يثير الضحك حـتماً . والضحك ناشيء بالاخص من هذا الاختلاط بين الآلية والحيوية لاننا نرى آلة تحاول ان تظهر في مظهر حي . ولذلك نضحك من « القراقوز » الذي يحاول ان يمثل الحياة في حين انه آلات . والتقليد في حد ذاته مضحك حتى بين الاحياء ، فاذا شعرنا في شخص ان حركاته ومواقفه واشاراته مستعارة من شخص آخر اثار ذلك فينـا الضحك . وذلك لاننا نشعر بنفس الشيء ، وهو ان هذا الجسم الحي لا يستعمل قوته الحيوية ، ويسير على مثال الآلة الجامدة التي تستمد القوة من غيرها ، وتسير حسب هوى الغير ، ونجد فكرة اخرى وهي ان الحيـاة لا ترجع ابداً ، واعمالها لا تتشابه ابداً . واذا رأينا تشابهاً اولنـا ذلك بالتقليد ، ويكون التشابه مثيراً للضحك .

ولا شك اننا نستطيع ان نفهم من هـذا ان برجسن يعطي للخيال اهمية كبرى : نرى الشخص يقلد ، فنتخيله آلة ، وبالفعل فان برجسن يذهب الى ان للخيال منطقـاً مستقلا عن المنطق الفكري العقلي ، ويرجع الحركات المضحكة الى ثلاثة اسباب : (١) اي تجمد يبدو في الحركة . (٢) اي انفصال بـين الجسم والنفس . (٣) ظهور الجسم الحي في مظهر الشيء الجامد .

اولاً : نضحـك من شخص لا يعرف كيف يتكيف في وسطه ، ويصطدم بكل شيء في سيره مع سلامة جوارحه كلها ومقدرته على التكيف ، وكل انفصال بين الشخص والعالم الخارجي

يثير الضحك. فضحك مثلًا من الشخص الذي يلبس لباساً غير ملائم للعصر او الوسط الذي يعيش فيه، ولذلك يثير فينا التنكر ميلًا الى الضحك. ثانياً: نضحك عندما نلاحظ انتقالا فجائياً من المعنى والفكر والنفس والروح، الى المادة والجمود والجسم، اذا كان خطيب مندفعاً في خطابه وكله معان وافكار فاننا نضحك حين نراه يحك ظهره او يقوم باي عمل يشعر بالتفات الى الجسم، كما نضحك من الشخص البليد الخجول الذي يحار من نفسه لاننا نتصوره متضايقاً من جسمه واعضائه، وذكر برجسن امثلة كثيرة مستقاة من التمثيل الفرنسي تبين لم نضحك من اقوال الموظف الذي يعتبر الوظيفة مخلوقة من اجله لكي يعيش هو في راحة مادية لا ليؤدي واجبات نحو غيره.

ثالثاً: تظهر الآلية المقلدة للحياة في الاشخاص عندما يشعروننا بفكرة الشيئية، وادرك ذلك بعض من يحترفون الضحك فانهم يقومون بحركة معينة مكررة مثل الدوران مثلا حتى يختفي علينا شكل الجسم كما نعرفه ويبدو لنا في شكل شيء من الاشياء ككرة مثلا، فتلك الصورة الشيئية وحدها تضحك، ويظهر ذلك ايضاً في التعبير عندما نقول: «دستة من الرجال» فكلمة «دستة» «دزينة» تستعمل للاشياء لا الاشخاص.

اما التكرار فانه من أهم العوامل الباعثة على الضحك من موقف معين اذا فرضنا شخصاً يحكي حكاية لشخص لا يعرفه فان هذا الشخص لا يجد أي ميل للضحك من سماعها، فاذا حضر شخص ثان سبق ان عرف الذي يحكي الحكاية وسبق ان سمع هذه الحكاية مرات متعددة، فان هذا الشخص الثاني شعر بشيء من الملل مع شيء من الميل الى الضحك، ولذلك نرى نفس الذي يحكي يشعر بشيء من التضايق عندما يعلم ان احد سامعيه قد سمعه مرات مختلفة، وذلك يظهر ايضاً في بعض المواقف الصامتة التي تثير الضحك اذا وجدنا وجهين متشابهين تمام التشابه فاننا نضحك ونضحك اكثر عندما يزيد عدد الوجوه المتشابهة، والسر في ذلك – حسب رأي برجسن – هو ان التكرار للصفة الحية يدعو الى الضحك

اما فيما يرجع انعكاس الموقف الطبيعي المنتظر فان الموقف الذي تعكس فيه ادوار الاشخاص فانه ينقلب الى موقف مضحك: نضحك عندما نرى مثلًا المجرم الجاني ينصح القاضي او الطفل يحذر أباه او التلميذ يعلم الاستاذ. فكل انقلاب يحصل في موقف ما يثير الضحك، ونضحك عندما نرى شخصاً يقع في الفخ الذي بناه لغيره. ومن الصعب تحديد عامل التداخل في الضحك وذلك لان لهذا العامل تطبيقات مختلفة متعددة. نضحك عندما نكون امام موقف يرجع الى سلسلتين من الحوادث وكل منهما مستقل عن الاخر، ولكن نستطيع تأويل الموقف بمعنيين مختلفين، عندها يحصل خلط في الموقف فان ذلك يثير فينا الضحك.

ونجد نفس القاعدة منطبقة على الضحك من الكلمات لاننا نضحك عندما تدخل معنى غير مفيد وغير ملائم في جملة معروفة، كأن نقول مثلًا: ورجعت «الكتب» الى قواعدها سالمة، وفكرة الانتقال من المعنى الى المادة كعامل لاثارة الضحك توجد ايضاً في الالفاظ، «نحصل على حالة مضحكة عندما نحاول ان نفهم عبارة فهماً حرفياً في حين انها مستعملة استعمالاً مجازياً». كلما يتجه ذهننا الى المادة في حال الكلام عن المعنى فاننا نضحك، ويثير تغير الصيغة ضحكاً في المستمع مثلًا عندما نعبر عن شيء عادي بصيغة رسمية او العكس فان ذلك يبعث الشخص على الضحك.

كل الاحوال التي رأيناها الى الان هي احوال خارجة عن الانسان وهي مضحكة لانها تحاول ان تتصف ببعض صفات الانسان الحيوية، فاصعب ناحية في الضحك هي تفسير الضحك في الاشياء. ومن السهل ادراك المضحك في الخلق الانساني، فالمضحك في الخلق الانساني ليس دائماً عيباً نحاول اصلاحه بسخريتنا، وانما هو في بعض الاحيان صفة محمودة مثل الصراحة المتطرفة فهذه تضحكنا بنتائجها التي هي عبارة عن انفصال الشخص عن وسطه».

وبهذا نرى ان للضحك فائدة اجتماعية هامة فهو سلاح نحاول ان نحقق به وحدة المجتمع، والاضحاك يتم على شرط ان الشذوذ الاجتماعي لا يكون مثيراً للعواطف. لذلك لا نضحك الا من العيوب الخفيفة التي لا تثير فينا عاطفة الشفقة والمشاركة، وقد ادرك الاديب الكبير المرحوم الشيخ عبد العزيز البشري هذه الحقيقة النفسية العميقة، اذ كان داخلًا مقهى مزدحماً واذا به يمشي على قشرة بطيخ ويهوي على الارض واستعد رواد المقهى للضحك طويلًا لو لم يروه يقوم ويمسك بكتف صاحبه مقلداً الاعمى ووقف الضحك بسرعة.

لا نضحك اذاً الا بما يشعرنا بنقص في المرونة والتكيف عند شخص قادر عليهما، والمرونة والتكيف من اهداف الحياة المندفعة نحو الكمال والرقي، فالضحك يساعد الحياة في اندفاعها كما ان الرشاقة التي تشهد بوجود القوة الحيوية الكاملة المتغلبة على المادة تحدث الشعور براحة نفسية سميناها الشعور بالجمال...

القاهرة — ابو مدين الشافعي

تلك المنـــازل

■

ومليحة في وجهها الق الضحى والسحرُ والصهباء في اقوالها
قالت : أينسى النازحون بلادهم ما هاج حزن القلب غير سؤالها
الارض : سوريا احب ربوعها عندي « ولبنان » اعز جبالها
والناس اكرمهم علي عشيرها روحي الفداء لرهطها ولآلها
والشهب : اسطعها التي في افقها ليس الجلال الحق غير جلالها
واحب غيث ما همى في ارضها حتى الحيا الباكي على اطلالها
مرح الصبا الجذلان في اسحارها ومنى الصبا الولهان في آصالها
اني لأعرف ريحها من غيرها بنوافح الاشذاء في اذيالها
تلك المنازل كم خطرت بساحها في ظل ضيغمها وعطف غزالها
وشدوت مع اطيارها وسهرت مع اقمارها ورقصت مع شلاّلها
وسجدت للالهام مع صفصافها وضحكت للاحلام مع وزّالها
وملأت عقلي من حديث شيوخها واخذت شعري من لغى اطفالها
تشتاق عيني قبل يغمضها الردى لو انها اكتحلت ولو برمالها
مرت بيَ الاعوام تقفو بعضها وثب القطا تعدو الى آجالها
وتعاقبت صور الجمال فلم يدم في خاطري منها سوى تمثالها

بروكلن — نيويورك ايليا ابو ماضي

الادب العربي في المهاجر الاميركي

بقلم
لويس الريس
ليسانسيه في الفلسفة والآداب

قد ظهرت في نهضتنا الحديثة حركة ادبية تفردت ببعض الخصائص الذاتية ، وكان لها ، على ادباء الجيل ، في جميع الاقطار العربية ، أثر وأي اثر !! عنيت بها حركة الادب العربي في المهاجر الاميركي ·

من المعروف ان الهجرة لم تحصل دفعة واحدة ولكن على موجات متعددة ، كما ان الدافع اليها لم يكن واحداً في جميع مراحلها : فقد هاجرت في البدء طبقة تطلب الغنى ، وجل هذه الطبقة لم تكن على شيء كثير من العلم والثقافة · غير ان هناك طبقة تركت الاوطان بحكم عامل سياسي قاهر : ذلك ان الحالة في منتصف القرن الماضي كانت في اضطراب وقلق ، فالحاكم ظالم والزعيم غير مخلص ، ورجل الدين على عوج[1]. انما العلم ما لبث ان انتشر بانتشار المدارس ، فطلع جيل جديد اراد ان ينفض عن منكبيه جور الحاكم ، ويناقش الزعيم ورجل الدين الرأي ، فحصل ، من جراء هذه الثورة الفكرية اصطدام بين عقليتين وبين جيلين. فوقع على الجيل الجديد ، المطالب بحقه في الرأي والعمل ، اذى شديد ، ولم يجد الخلاص الا بالرحيل والهجرة ·

هذه القافلة رحلت الى الاميركتين وهي مزودة بثقافة طيبة من الادبين العربي والاجنبي · وعلى يد هذه الفئة قامت في المهاجر نهضة عربية حولت ارض العالم الجديد الى اندلس جديدة ، وغدا الادب العربي هناك يكوّن جزءاً خطيراً ، ومدرسة لها ميزاتها الخاصة في الادب الحديث ·

(١) حسر اللثام عن نكبات الشام

وقد تجلت النهضة في المهاجر الاميركي في مظاهر مختلفة : فلاولئك المهاجرين جمعياتهم الادبية ، من هذه الجمعيات « العصبة الاندلسية » في اميركا الجنوبية ومنها « الرابطة القلمية » في اميركا الشمالية قام بتكوينها جمهرة من الادباء التفت حول جبران وميخائيل نعيمه · وهذه كانت ذات اثر في الحركة الادبية هناك وفي الاقطار العربية · وقد كان هدفها بث « روح جديدة نشيطة في جسم الادب العربي وانتشاله من وهدة الخمول والتقليد الى حيث يصبح قوة فعّالة في حياة الامة » · ومن مراميها : « ان تهتم بنشر مؤلفات عمالها ومؤلفات سواهم من كتّاب العربية المستحقين ، وبترجمة المؤلفات المهمة من الآداب الاجنبية »[2].

وللمهاجرين نواديهم في العواصم الكبرى من الاميركتين اشهرها « النادي الزحلي » و« النادي الحمصي » و« النادي الفينيقي » · واذا كان لا بد من نظرة الى ناحية الضعف في هذه النوادي وحياتها فهي انها كانت تأخذ مراراً لوناً طائفياً او اقطاعياً مما كان يجعلها لا تعمر كثيراً ·

اما صحافة المهاجرين فهي من الصحافة العربية الراقية ، منتشرة بين الجوالي العربية في كل زاوية من زوايا القارتين · وانتشار الصحافة على هذا الشكل قوّى اواصر الصلات بين الجوالي العربية وعمل على تنمية النشاط الثقافي والادبي ·

وللمهاجرين جهاد عظيم في سبيل العروبة والعرب ولبنان · وذلك ان اولئك المهاجرين عندما نزلوا تلك البلاد النائية اخذوا

(٢) جبران خليل جبران ، لنعيمه ص ١٧١

اخص مصادر هذا المقال :

الدنيا في اميركا — الدكتور امير بقطر
قضية السوريين السياسية — الدكتور بنوا ابو صوان « بالافرنسية »
السوريون في اميركا — الدكتور فيليب حتي
الغريب في الغرب — اسعد رستم
حسر اللثام عن نكبات الشام — لمؤلف غير معروف
حياة جبران خليل جبران — لميخائيل نعيمه
الغربال — لميخائيل نعيمه

فضلاً عن هذه المصادر فقد اعتمدنا على دواوين شعراء المهاجر ، ومجموعات نثرية وشعرية من ادبهم ·

بدراسة لغات تلك الشعوب وآدابهم، وما لبثوا ان اخذوا يكتبون ويحاضرون بتلك اللغات ويذيعون المؤلفات عن الحضارة العربية يصلحون ما شوه المغرضون من امر العرب وحضارتهم . وكل هذا بدافع الذود عن حياض العزة القومية لا يبغون اجراً على عملهم ولا شكورا . وقد ضاعفوا مجهودهم خصوصاً، اذ وجدوا ان بعض السياح يردون الشرق فيكتبون عنه وعن العرب كتابات ساخرة . ففي كتاب « الغريب في الغرب » يذكر صاحبه فيقول : « اني وقفت على كتاب من تأليف الدكتور ... وهو احد المرسلين ... في سوريا ... موضوع الكتاب « المعيشة في سوريا » « اتى فيه على ما لا يذكر من القذف والتشنيع والتحامل .. »

وفي مكان آخر من المصدر نفسه : « عثرت على كتاب آخر للدكتور ... موضوعه « نساء العرب » ملأ صفحاته من الطعن والقذف والاستهزاء بالسوريين وعوائدهم بنوع تنفر منه الطباع السليمة ... »

وكان سكان البلاد يطلقون على العرب المهاجرين اسم «التركي» وبه ينادونهم ، فظل المهاجرون صابرين في مدافعتهم حتى غيروا اسم التركي باسم العربي ولم يرموا سلاحهم حتى اعترف لهم القوم بامجاد الجدود . وابتغاء الوصول الى غرضهم هذا جعلوا في صحافتهم العربية قسماً بلغة البلاد التي يقيمون بها .

اما من الناحية الادبية الصرفة فللمهاجرين محصول ادبي ضخم ولادبهم خصائص تفرد بها وله مميزات كوّنت منه مدرسة خاصة ففي اسلوبهم مرونة ودماثة ، تحببه الى النفس لولا الاستغراق في التخيل بعض الاحيان . غير انهم تساهلوا في اللغة احياناً فظهر فيه شيء من الضعف ومخالفة احكام اللغة . مثال ذلك قول الشاعر ، رشيد سليم الخوري ، في قصيدة – احبابنا – يقول :

« قوموا نسير الى الحمى بحياتكم قوموا نسير »

لكن هذا التساهل يعود الى رأي تكوّن عند القادة من ادباء المهاجر بان اللغة واسطة لا غاية ، انما الغاية هي الفكرة . وقد دافعوا عن رأيهم هذا بشدة لا تعرف اللين ضد من اراد باللغة وقوفاً وجموداً . وقد وفقوا مراراً في دفاعهم وفشلوا مراراً .

اما من حيث المعنى والروح فادب المهاجرين من النوع الوجداني الرومنطيقي العميق ، فغيمة من الكآبة الناعمة تظلل اكثر شعر المهاجر . وتسود اكثره نزعة الى التأمل يدلنا على ان هؤلاء المهاجرين ينطوون على نفوسهم يحللونها بالنظر الى النفس الانسانية العامة . والكآبة والتأمل من اخص ميزات المدرسة الرومنطيقية .

ومن نزعتهم الرومنطيقية ايضاً تشخيص الطبيعة فالطبيعة كائنات حية يأنسون بها وتأنس بهم يخاطبونها فتفهم عنهم وتخاطبهم فيفهمون عنها . للتحقق من هذا نحيل القارئ الى قصيدتي مخائيل نعيمه : « النهر المتجمد » ثم قصيدة « الرياح » . وللشاعر امين مشرق قصيدة « الكمان » يخاطبها كأنها منه أليف انيس ، منها :

« لا تخافي انا اعطيك الصدى انما في داخلي يبقى الالم »
« هوذا قلبي يُضحى ابداً فدية عن قلبك الخالي الاصم »
« رددي منه الانينا واملأي الليل حنينا »
« واهزئي بالقلب ، ماذا ترهبينا مزقيه ، حبذا لو تفعلين »

وكل شعر تعرّى من الالم والنوح والبكاء وضجر الوحدة ليس في نظر الرومنطيقيين من الشعر الصحيح في شيء . وشعر ادباء المهاجر يحفل بهذه النزعات الرومنطيقية الداكنة ، وخصوصاً شعر المرحوم فوزي المعلوف .

والواضح في المدرسة الرومنطيقية ، وخصوصاً في الادبين الفرنسي والايطالي ان الشعراء الرومنطقيين فريقان امام ما يشعرون به في الحياة من وحدة وضجر وألم : الواحد يرى الاستسلام للقدر خير دواء فيقبل الحياة كما هي . والفريق الآخر اما ان يثور ويتمرد واما ان يستنجد بالموت خلاصاً من الحياة . والاستغاثة بالموت تكثر في الادب الفرنسي عند «لامرتين» وفي الادب الايطالي عند « بترارك » مما جعل الكاتب الايطالي جوفاني بابيني ان يدعو « بترارك » شاعر الموت .

وفي شعراء المهاجر نجد الفريقين . فمخائيل نعيمه يميل في ادبه الى الاستسلام والى الدعوة الى الاخاء الانساني . بينما نجد رشيد سليم الخوري في قصيدته « الحياة الباقية » يقول :

« اغربي يا شمس عني واغمريني بالظلام »
« ودعيني اضع الرجل على شط السلام »

*

« فالمسي جفني ، أيا كف الحمام الناعمه »
« أرقت عيناي ، طوبى للعيون النائمه »

اما الاسباب التي جعلت لادب المهاجر هذه الصبغة فهي كثيرة في نظري، منها الذاتي ومنها الخارجي، منها الثقافي ومنها الاجتماعي . فاغتراب هؤلاء الاباء عن اوطانهم مما ولد الكآبة الحادة في نفوسهم فجاء شعرهم صورة لهذه النفس المغتربة التي تفتش على الحنان وتنزع

الى الوحدة والى عالم مجهول تتخيل فيه السعادة والطمأنينة .

وكان للاغتراب اثر آخر في العاطفة الوطنية من ادب المهاجرين خرجوا فيه مخرجين مختلفين : عاطفة وطنية سلبية وعاطفة وطنية ايجابية . اما الاولى – السلبية – فيظهرنا عليها ما يحمل ادبهم من ثورة وتمرد – وهذه خاصة رومنطيقية – على بعض تقاليد بلادهم الاجتماعية والدينية والادبية ، وعلى ما في بلادهم من اوضاع سياسية . وقد اشرت الى الحالة الاجتماعية التي قاسوها في الاوطان ، فكان لا بد من الثورة على ما آلمهم ودفع بهم الى الغربة البعيدة . وقد كانت ثورة مغيظة حانقة اشبه بصرخة اليائس . من هـذا بعض شعر نسيب عريضة في ابناء وطنه :

« كفنوه ، وادفنوه ، أسكنوه هوّة اللحد العميق »
« واذهبوا لا تندبوه ، فهو شعب ميّت لا يفيق »
« ذللوه ، قتلوه حملوه ، فوق مـا كان يطيق »
« حمل الذل بصبر من دهور فهو في الذل عريق »

وللشاعر الثائر – رشيد سليم الخوري – ديوان « العواصف » وقد منعت سلطات الانتداب دخول هذا الديوان الى الشرق العربي من الثورة الشديدة ، منه :

« من ينبيء السوري وهو مشوه وجه الاباء ، لكثرة التعفير »

وقال يخاطب الملك حسين زعيم الثورة العربية :

« أترى تحرر انفس مظـلومة ويقدّ سيف العدل زور الزور »
« فيلمّ من اقصى البـلاد شتاتنا ويضم لؤلؤ عقدنـا المنثور »
« أم نستعيضُ بغربة عن غربةٍ وتظل سوريا لغير السوري »

اما العاطفة الوطنية الايجابية فقد تجلت فيما يحمل ادب المهاجرين من الحنين الى مرابع الطفولة من ربوع لبنان ، والتغني بجمال بلادهم سهولها وجبالها ينابيعها وانهارها :

« مثلما يكمن اللظى في الرماد هكذا الحب كامن في فؤادي »
« لست مغرىً بشادنٍ او شادٍ انا صب متيم ببلادي »
« يا بلادي ، عليك الف تحية »

*

« انت ، مادمتُ في الحياة ، حياتي فاذا مـا رجعت للظلمات »
« واستحالت جوارحي ذرات فلتقل كل ذرّة من رفاتي »
« عاش لبنان ، ولتعش سورية »(١)

وفي ذكرى الطفلة للشاعر اللبق الياس فرحات :

« ترجعني الذكرى الى « الكساره »(٢) الى مقر الحب والطهاره »
« الى اجتماعي ببنـات الحارة نلعب طوراً بالحصى وتاره »
« يشغلني مهن بالصنارة »

والشاعر الذي اتخذ الوطن ربة شعره ، وغناه ألطف الالحان ، هو رشيد ايوب . فلبنان عنده الفردوس المفقود ، الذي اليه يحن ويود ان يعود ، قال من قصيدة في ذكرى لبنان :

« يا نوى ، ان كان قلبي في الهيام اكتوى ،
والتوى ، ظهري ، ورثت في المشيب القوى
ما انطوى ، بساط آمالي ، ورب الهوى ،
فاعرفي ، لا شيء عن لبنـان مستوقفي ،
فهو في ، قلبي ، وما سواه لم اصطفِ !!

أليس في هذه النغمة نفحة من نفحات المتصوفة !! فضلاً عن ذلك فرشيد ايوب وقف قسماً كبيراً من شعره على التغني بلبنان وجماله والشوق اليه ، وكله من الطراز العالي .

ولم يقتصر المهاجرون على اللغة الفصحى في التعبير عن حنينهم الى الاوطان ، انما لهم مجموعة قيمة من الزجل :

واقطع لبحر الروم آخر مرحله واطلع الى بيروت مينا واسكله
يا جبل لبنان غيرك مـا حلى لعين الذي يقضي زمانو بالنحيب

*

ما حلى للعين غير نسمة هواك والقلب لا يهوى من الدنيا سواك

●

وبعد فاننا نجد عناصر المدرسة الرومنطيقية متوفرة في ادب المهاجرين بمـا في هذه المدرسة من كآبة وحنين وثورة وتمرد . والعوامل التي كونتها هي الاحوال الاجتماعية والسياسية مع استعداد ذاتي من الاحساس المرهف . وقد تلقى القسم الاكبر من ابناء المهاجرين الثقافة الاجنبية فمال الى الادب الرومنطيقي منه ، وهو ما يميل اليه الشباب وهم في فورة العمر فكان ذلك مساعداً فعّالاً في هذا التكوين الخاص .

حقاً ان نشاط المهاجرين وجهادهم في ميدان العلم والادب ينزلهم منزلة الرسل للعروبة ، وخير دعاة لهذا الوطن العزيز .

اوبس الريس

---

(١) ديوان الجداول : لايليا ابي ماضي

(٢) البلدة التي ولد فيها الشاعر .

قصة

صفقة رابحة

بقلم امين يوسف غراب

كان الحمار يسير في الطريق الملتوي بين الحقول والمزارع المترامية متمهلاً جداً على غير العادة التي ألف السير عليها منذ خمسة عشر عاماً اعتاد ان يقطع فيها هذا الطريق كل يوم في خمس ساعات ذهاباً ثم يعود. فيقطعها ثانية في نفس اليوم وفي خمس ساعات ايضاً. وكان تمهله في السير لا عن جهد اضناه رغم شيخوخته وكبر سنه وطول المسافة التي يقطعها كل يوم. ولكن لانه احس ان صاحبه في هذا اليوم على غير عادته. فهو منذ امتطاه هذا الصباح حتى القى بجسده عليه القاء، كأنه جثة هامدة القيت على ظهره. وكأن الحمار احس فعلاً بما يعانيه صاحبه من ألم مرير في هذا اليوم فتألم هو ايضاً وراح يخب به في الطريق الملتوي على مهل وقد أمال عنقه الطويل الى اسفل وادنى رأسه الضخم من الارض حتى كاد يصفعه بحافريه ونكس اذنيه الطويلتين حتى غدتا على صفحتي الوجه الطويل كجناحي طائر جريح. وكلما قابله انسان اوحيوان مثله تجنبه حتى يمر به في هدوء. لكي لا يقلق الانسان المتكوم عليه كحزمة من القش ترسل شمس الصيف الحارة اشعتها عليها كأنها شواظ من نار. وكلما خلا بنفسه في الطريق ازداد ألمه لا على مصيره المجهول ان تركه هذا الصاحب الامين ولكن على الخمسة عشر عاماً التي اقتناه فيها هذا الصاحب وعاشره فيها معاشرة الصديق للصديق لم يضربه مرة ولم يجهده يوماً عن قصد ولم يبخل عليه فيها بتبن او يضن عليه بعليقه. وكلما تخيل هذا واحس بحالة صاحبه التي يعانيها اليوم وهو على ظهره تساقط عرقه وتصبب على حوافره وهزلت خطواته حتى كادت تتوقف الى ان بلغ اول قرية فاخترقها دون ان يغير شيئاً من خطواته او يرفع رأسه حتى وقف عند مكان اعتاد ان يقف فيه في هذه اللحظة من كل يوم. واقبلت احدى النسوة وهي تنادي بصوت مبحوح: عم جمعه ... عم جمعه.

ولكن عم جمعه في هذا اليوم لم يسمع النداء. ولذلك لم يلتفت كالعادة ولم يجب. وادرك الحمار ذلك وان صاحبه لم يسمع وعز عليه ان يظن شيئاً بعم جمعه فاهتز في وقفته كأنه يريد ان ينفض عنه غباره. وهنا اهتز معه عم جمعه بجسده المقرور فاستيقظ وحاول ان يفتح عينيه المحمرتين ولكنهما لم ينفتحا فمد انامله المرتعشة وخلص هدبيهما المتآكلين من سائل لزج تجمد عليهما وعلى جانبي الانف الاقنى المستسلم على الوجه المغضن لعبث الحياة. وهنا ادرك انه بلغ اول قرية فرفع رأسه الثقيل الذي لفحته حرارة الحمى واقامه على عنق مترهل ارتكز على صدر خائر كأنه صندوق من صناديق الحلوى الفارغة عبث النمل بجوفه فغدت انفاسه تتردد فيه كأنها حشرجة طائر مذبوح ثم رفع ذراعاً مرتعشة ومد يداً مقرورة واخرج من خرج بجانبه على الحمار عدة خطابات ادناها من عينيه المحمرتين وراح يتمتم بصوت مبحوح وشفتين غليظتين واجفتين ... جواب لمبروكه الشنواني ... وجواب لحميده ام علي .. وجواب ل.. ل.. ل.. ولما لم يتمكن من رؤية خط القلم الرصاص الباهت الذي كتب به المظروف ادنى الجواب من عينيه ومكث لحظة ثم تمتم بعدها .. للحبيب النسيب الفاضل الشيخ عيسوي البردان عربي حنطور حضرة عمدة الناحية.

وناول المرأة هذا الخطاب الثالث ثم مد انامله الى حبل رفيع بجانبه انساب في عدة حلقات نحاسية على فتحة الخرج وشده فانقفل الخرج ثانية كما كان، وهمت المرأة ان تسأله عن خطاب لها باسم ستيته العجواني ولكن الحمار كان قد احس بسوسة الحلقات النحاسية فواصل سيره دون ان يكلف صاحبه مؤونة الاصغاء الى ثرثرة اهل الريف التي ان كان قد احتملها خمسة عشر عاماً فهو لن يقوى على احتمالها اليوم.

وعاد الحمار يواصل سيره منكس الرأس وعاد عم جمعه الى اطراقته فألقى برأسه الملتهب على صدره الخائر الذي راح يهتز بالرأس اهتزازاً منتظماً يوقعه الحمار على خطواته البطيئة وترجعه الفتل الاربع التي ابقاها القدر من زر طربوشه معلقة بخيط رفيع

كذلك الخيط الواهي الذي تتعلق به آماله في دنياه الذاهبة ومن ثم اغمض عينيه ولكن على بيت مهدم في اقصى المدينة تعج ساحته الضيقة ذات الجوانب المتآكلة والسقف العاري بسبعة اولاد خلفهم الفقر اشباه عرايا يتطلعون الى السماء ولا يرتجون من رحمتها اكثر من خرقة ولو بالية تقيهم عوادي المذلة والاذى . وخلفهم الجوع اشباه آدميين منهم من يتعزى عن آدميته بالدموع ومنهم من يحول مجرى هذه الدموع الى القلب الذابل عساها تروي غلته وعساها بتلاشيها لا تزيد في قلب الام القابعة في وسطهم ونار الاسى تكاد تلتهمها وهي تنظر الى طفليها الحديثي الولادة وتراهما امامها كالقطط الضريرة يزحفان على اربع يبحثان عن ثديها الذي اخفته عنهما لا ضناً به ولكن شفقة بثغريهما الطريئين ان يتعبا من رضاعة ثدي امتص البؤس لبنه وخلفه كالخرقة البالية الممزقة التي تستر بها صدرها ومع ذلك فهي تنظر اليهم جميعاً لا اليهما وتشفق عليهم جميعاً ولا تملك الا ان تجفف عبراتها وتجلس معهم في المكان المعهود من الساحة الضيقة بحيث تكون وجوههم مقابلة لمدخل الدار حتى يتمكنوا من رؤية ابيهم وهو يفتح عليهم الباب في أي وقت من الليل او النهار وبيده تلك الارغفة الستة وقطع الجبن القريش الثلاث . وما ان يبصروا به حتى يهرعوا اليه ويلتفون حوله ولا ينتظرون حتى يضع امامهم قوتهم اليومي الذي يمضي الشهر ولا ينقص عدده او يزيد . وتمضي الشهور ولا يتبدل لونه او يتغير ومع ذلك يتخاطفونه ويتهافتون عليه تهافت الدجاجات الجائعة على حبات الحنطة ثم يأوون الى مضاجعهم في غرفة لا تقل اظلاماً وتهدماً عن غرفة الحمار المجاورة التي اتخذ عم جمعه منامته فيها بجانب الحمار . يقضي الليل بجواره ينظر اليه وهو يأكل ويتخيل اولاده الصغار وهم نيام في الغرفة المجاورة ومنهم من استطاع ان يظفر بكسرة كاملة من الخبز فأكلها ونام مطمئناً ومنهم من لجعه اخوه في كسرته فبات على الطوى وقد اغمض عينيه ليصغي الى نباح احشائه الجائعة فلا يسع الأب وهو بجانب الحمار الا ان يغمض عينيه هو الآخر ولكن على دموع بلورتها حرقة العوز ومذلة الفاقة حتى الخامسة صباحاً فيتسلل بحماره الى مكتب البريد ليوزع على الناس في القرى اخبار الاهل وانباء الاصدقاء .

غير انه ليلة البارحة لم ينم بجانب حماره كالمعتاد ولم ير حماره وهو يأكل ولم يتخيل اولاده الا وكلهم ايقاظ على الطوى ينتظرون الى باب الدار وينتظرون ولا من مجيب ولا من مغيث . فقد كانت ليلة البارحة آخر ليلة في عمر الجنيهات الثلاثة التي يقبضها كل شهر من الحكومة . وكانت ليلة البارحة اول الليالي التي بدأ فيها الاستجداء وعجز فيها عن الاستدانة وعن العشرة قروش التي تشتري بها الارغفة الستة وقطع الجبن القريش الثلاث . وهو لا يقوى على الذهاب الى الدار بيده فارغة ابداً لانه لا يستطيع ان يرى اولاده وقد هرعوا اليه والتفوا حوله ولا يقدم اليهم الا النظرات والانات والدموع فهذه وان كانت تهدد الخاطر احياناً فهي لا تطفىء حرقة الظمأ ابداً . وان كانت تريح الفؤاد بعض الشيء فهي لا تسكت مواء القطط الجائعة بحال .. ولذلك آثر ان يبيت مع حماره على الرصيف بجوار هنداوي خفير مكتب البريد الليلي الذي كان يشكو اليه هو الاخر تعسر زوجته في الوضع وغطرسة القابلة التي ابت ان تذهب اليها الا بعد اخذ العشرين قرشاً وهو عاجز عن قرش واحد يبتاع به شيئاً يتبلغ به الى ان اقبل الصبح فانقطع حديثهما وانصرف عم جمعه ببريده وركب حماره ويمم شطر القرى والمزارع كأن لم يحدث في الدنيا شيء . وكأن اباً من الاباء لم يقض ليلته على رصيف من الارصفة يشكو الى الله حرقة الظمأ والانهار تتدفق من حوله . وكأن اماً من الامهات لم تقض الليل ساهرة حول اطفالها الجياع تبادلهم جوعاً بجوع وتبادل زوجها الغائب دموعاً بدموع . وكأنها لما انتصف الليل ولم يأت وعرفت سر تأخره وانه قد عجز عن ثمن الرغيف وعرفت ايضاً انه لا بد من حل يخلصها من صراخ الاولاد ولو الى حين فذهبت الى جارة لها تستلف منها حفنة من الدقيق تخبزها على الصاج وتسكت بها نباح الجوع ولما عادت الفت احد الطفلين قد مات وذهب الى ربه يشكو اليه ظلم ثدي امه المترهل الذي لم يجد عليه بقطرة لبن واحدة من ثلاثة ايام .

وانتظرت الزوجة زوجها في الصباح عند رأس الطريق الذي يخترقه كل يوم وانبأته ان احد الطفلين قد مات . وانصب هذا الخبر انصباباً في اذني الاب واربدت منه ملامحه وتقلصت له اسارير وجهه المجعد وانهلع له قلبه الكهل . وثارت ثائرة الشيخوخة وحمي زفيرها وهم ان يقفز من على الحمار او يرتد به ثانية ليودع ابنه الوداع الاخير بيد انه احس فجأة بشيء جارف هز جسده المنهوك هزاً عنيفاً ففتح عينيه فألفى الحمار قد وقف به امام اول تفتيش من تفاتيش الباشا قطع مساحته في ساعة ونصف كان فيها على ظهر الحمار يستعرض حادثاً وقع له من يومين فابتسم ولكن من نفسه .

ومد عم جمعة يده الهزيلة المرتعشة واخرج عدة خطابات الفى من بينها خطاباً مزخرفاً باسم الباشا فتفرس فيه وقرب خطه المنسق

الجميل من عينيه وما ان قرأ حروفه حرفا حرفا حتى خطر له خاطر جميل ما ان تخيله وتخيل نتيجته حتى لمعت عيناه لمعاناً اضفى على وجهه المغبر شيئاً من الهدوء الذي مبعثه الامل الحلو الحلاب ... وخلسة دس الخطاب في جيبه واعطى الخطابات الباقية الى رجل اعتاد ان يأخذها منه كل يوم وهم الحمار ان يواصل سيره ولكنه وجهه يميناً على غير العادة وما ان سار به بعض خطوات حتى طالعه مبنى شاهق جميل راح يتألق تحت السماء الصافيــة وكأنه مرآة تعكس الشمس اضواءها عليها تحوطه حديقة غنــاء تنبعث منها انسام الضحى معطرة بأريج الورد . ورأى عم جمعة قصر البــاشا الجميل المزخرف بشتى الرسوم العربية القديمة وقد لفته اشجار السرو العالية بفروعها الخضراء فغدا القصر الابيض في قلبها كغانية طروب ترفل في ثوب فضفاض من الحرير الاخضر . واخذ عم جمعة بروعة المنظر ورهبة سور الحديقة العريض المنسق . غير انه مــع ذلك تقدم في خطوات ثقيلة متباطئة كأنفاسه حتى اشرف على باب السور فالفى البستاني ينسق بين يديه باقة جميلة سوف توضع امام الباشا على المائدة . فحياه بصوت خنقته انفاسه المحمومة المتدهورة من بين شفتيه المرتعشتين وناوله خطاب الباشا ومعه ورقــة صغيرة كتبت عليها بعض عبارات مقتضبة ولكنها كانت في اقتضابهـــا خلاصة ما في لغة الفقر من أبأس عبارات الاستجداء . وطلب من البستاني توصيلها مع الخطاب لسعادة الباشا مد الله في عمره وجعله ذخراً للبائسين .

وانتقلت الورقة من البستاني الى خــادم وخادم ثم خادمة وخادمة وخادمة . حتى بلغت يد الباشا وانتظر عم جمعة بجوار السور مع حماره . وبعد ان طال به الوقوف احس ان ساقيه قــد خذلتاه وان رأسه قد ثقل فجأة حتى ان عنقه قد ناء به واحس انه في حاجة الى ان يجلس والى ان يغمض عينيه ويريح رأسه هــذا الذي ثقل فجأة فاقترب خطوة من حماره ومن السور ومن ثم جلس بجواره وقد وضع ذراعيه المرتعشتين على فخذيــه والقى برأسه عليهما امام الحمار الذي مد هو الاخر عنقه الطويل ناحية رأسه وكأنه يوشوشه او يصغي الى تدهور انفاسه من بين شفتيه المقرورتين .

ومرت ساعات اقبل بعدها الظهر . ومرت ساعات اقبل بعدها العصر . ومرت ساعة اعتاد ان يتريض اثرها الباشا فاقبلت سيارة فخمة وثيرة المقاعد حلوة اللون متبلورة كالمرآة . وما ان وقفت امام مدخل القصر حتى اقبل الباشا يرفل في حلة لامعة زرقاء زان صدرها بوردة كبيرة بلون رباط رقبته الذي حلاه بدبوس من الماس الثمين واقبل على السيارة تسبقه رائحة العطر الجميل وهمّ ان يدخلهــا ولكنه ابصر بعم جمعة وهو في جلسته امام الحمــار الذي ادنى رأسه من فخذيه كما يدنيها من مخلاة فارغة . فتذكر الورقة التي وصلته مع الخطاب فناداه ولمــا لم يسمع عم جمعة النداء اسرع السائق وتقــدم منه وربت على كتفيه ولكن جسده كان قد اصيب بالصمم هو الآخر كأذنيه .

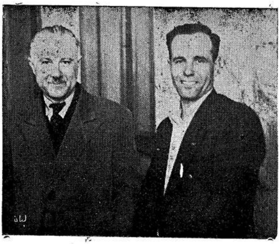
وتأثر الباشا قليلاً ثم ركب سيارته واذن للسائق بالسير . ولكن بعد ان امر بدفن الجثة على نفقته . وصرف ثلاثة جنيهات لاسرته . وضم الحمار لحمير التفتيش .

دمنهور — مصر امين يوسف غراب

رابحا الجائزة الكبرى

للبانصيب الوطني اللبناني

◆



يمثل الرسم — الى اليسار — السيدين اديب ابراهيم صادر وجورج يونان سيقلي رابحي الجائزة الكبرى للبانصيب الوطني اللبناني وقيمتها (٢٥٠٠٠) خمسة وعشرون الف ليرة لبنانية ، والتي اعيد سحبها مرة ثانية ، لانها لم تظهر مبيعة في الدورة الاولى .

ويرى الاول وهو يحاول ان يكبت شعور الفرح فترتسم على وجهه الابتسامة السارة والثاني لم يقو أبل قهقه عالياً لانهما تحققا ان الجائزة الكبرى هي من حق الجمهور دائماً .

يا حبيبي !...

الدكتور
سليم حيدر

يا حبيبي ، هوذا الروض يغنّي
هوذا الفيء الظليلُ
والنسيمات العليلهْ
والندى ، فوح بليلُ
والاغاريد الجميلهْ
والسواقي ، والروابي ، والخميلهْ
قم ، حبيبي ، نسمع الروض يغنّي !..

•

امس نقّلتُ الى الروض خطايَ
يا شقايَ !..
كل شيء مثلما كان لدينـا
فالفراشات على الزهر تحومُ
والنسيمُ
عابق بالطيب يختال الهوينـا
والسواقي ، والروابي ، والخميلهْ
والاغاريد الجميلهْ
ألف لون ، ألف شكل ، ألف لحن
قم ، حبيبي ، نسمع الروض يغني !..

•

يا حبيبي ، كل شيء مثلما
مثلما كانا
ما عدانا
قلبْ الدهر لنا ظهر المجنّ
قم ، حبيبي ، نستعدْ ذكرى صبانا
ودعِ الروضَ يغنّي
صلواتٍ في الترّجي والتمني !..

مشكلات الصناعات الغربية في الشرق

بقلم الدكتور محمد يحيى الهاشمي

✯

الهند

بعد هذه الجولة القصيرة في الشرق الاقصى بين اليابان والصين التي قمنا بها في العدد الماضي . ننتقل الى الهند ، لان التيارات فيها تتراءى لنا بشكل آخر . امتزج ابناء الهند بكثيرين من رجالات الغرب فاقتبسوا مع العلوم العصرية الصناعات ايضاً . ونظراً لما جرّته الآلة من الويلات فقد انقسم مفكرو الهند من جراء ذلك الى احزاب مختلفة ، منهم من حبذ الآلة تحبيذاً لا حد له ، ومنهم من انكرها نكراناً تاماً ، ومنهم من كان معتدلاً في ذلك ، ويمثل الثائرين على الآلة مهاتما غاندي ، فلقد سماها في اثره الذي ألفه باللغة الانكليزية بعنوان « حياتي » بوسيلة الشيطان وقد نقل عنه الكاتب الافرنسي « رومان رولان » كثيراً من العبارات التي تشير الى بغضه للآلة من حيث هي ، فمن ذلك قوله : « ان قلب المدنية الحديثة (عصر الحديد — قلب حديد) الآلة . هي الوثن العظيم المخيف الذي يجب تحطيمه . . . خير لنا ان نشتري القماش من مانشستر من ان نقيم معامل مانشستر في الهند ، فانه لن يفضل الركفلر الهندي اخاه الامريكي . الآلة خطيئة فاحشة لانها تسترق الشعوب . . والمال سم كالرذيلة الشهوانية » .

ويعلق الكاتب الافرنسي على ذلك بقوله : « ولكن الهنود الذين غلبتهم الافكار الحديثة ، يسألون كيف تصبح الهند اذا خلت من الخطوط الحديدية والترامات والصناعات الكبرى ؟ . فينقل لنا الكاتب جواب غاندي : « منذ آلاف السنين والهند ثابتة لا تتزعزع ، وحدها وسط امواج الممالك الزائلة . زال كل ما عداها وفازت منذ آلاف السنين بامرة النفس وعلم السعادة ، فليس لها ان تتعلم شيئاً في هذا الصدد من الامم الاخرى ، وهي لا ترغب في الماكينة والحواضر الكبرى ، فان المحراث العتيق ، والغزل والتربية الهندية القديمة ، كل ذلك ضمن لها الحكمة والصلاح . يجب علينا ان نعود الى البساطة الاولى — لا طفرة — هذا لا ريب فيه — بل رويداً رويداً ، باناة وصبر جاعلاً كل منا نفسه قدوة » .

وفي هذا كما يرى نفس الكاتب بحق نكران للترقي يتعدى الى نكران العلم الاوروبي . وان اقر غاندي بسلطان العقل ومجد العلم الى اقصى غايات التمجيد ، ولكن كرهه الآلة الى هذا الحد ، ورغبة عدم التعلم من الغريب رجوع بالفكر الى الوراء . نعم قد يكون محذور من الآلة ، وخاصة في الهند البلاد التي عرفت الطبقات بغلو زائد . ولكننا لا يمكننا ان نقف دورة الفلك .

وقد كان للآلة الحديثة تأثير كبير في استثمار بقاع عديدة في ارض الهند (المختار كانون الثاني ٤٥) ، والمثقفون ينبذون اليوم فكرة الطبقات نبذاً باتاً . ويتهم تاغور سيطرة روح القرون الوسطى على عقلية غاندي منتقداً اياه انتقاداً مراً . ولمعرفة قيمة هذا النقد يلزم ان نطلع على آراء هذا الحكيم العصري في جملته ، ضاربين صفحاً عن التيارات الهندية التي تقر الالة اقراراً تاماً مدركة فوائدها . اما السائرون في هذا التيار فهم نفر من الشباب الذين اوتوا حظاً قليلاً من الثقافة الغربية ، قد ادركوا ما للالة من فوائد ولم تهدهم بصيرتهم لمعرفة ما لها من اضرار .

ان رابندرانات تاغور كان يريد ان يمشي مع الزمن ، لا ينكر على الغرب مدنيته ، لانه قد صرح في مصر عام ١٩٢٦ عقب زيارته لاوربا وامريكا ، ان في المدنية الاوروبية الحاضرة نواحي قوة شديدة ، وهو يخشى ان تنهار هذه المدنية ، وفيها ذخر ثقافي لا يعوض ، وان اوروبا في الوقت الحاضر ترقص على بركان وهي تعاني تيارين قويين مختلفين ، وهو لا يؤيد العنف بأي مظهر من مظاهره .

ادرك تاغور عقب رحلته ان الاختراعات والاكتشافات الحديثة التي جعلت في امم الغرب قوة عظيمة اذا لم يرافقها المحبة والوحدة

الانسانية سيكون ضرر ذلك عظيماً ، لم يرض ضميره الحر اقتتال الغربيين رغم انه كان يشعر بانه محكوم منهم ويرى في هذا الحكم اجحافاً في حقوق امته ، فقد كان ناصحاً اميناً للامم الغربية بقوله : « ان مدنية الغرب يجب ان تسودها روح المحبة العامة ، وان تزول منها الاثرة والانانية ، والا فسيندفع شبابه الى آراء وعقائد مهلكة ، سيتوالى من بعدها نذر ، وسيكون من بعد ذلك الهلاك والدمار . »

انتقد تاغور آراء غاندي ، وخاصة مغزله وقوله المأثور « اغزلوا وانسجوا » ، فلقد قال جواباً على ذلك :

« أهذا هو نداء العصر الجديد الى الخليقة الجديدة يا غاندي؟! ان كان في الماكينات الكبيرة خطر على روح الغرب ، أفليس في الماكينات الصغيرة خطر اعظم وبالاً ؟! »

وهذا الانساني الكبير لا يرضى ان تتعاون قوى الامة كافة فحسب ، بل يرى انه لمن الضروري ان تتعاون الهند وقوى العالم جميعاً فيقظة الهند عنده متصلة بيقظة العالم ، وبزعمه ان الامة التي تحصر ذاتها في ذاتها مضادة لروح العصر الجديد ، ويعظم نفراً من الاوربيين والامريكيين الذين اجتمع بهم ، فألفاهم قد اطلقوا انفسهم من رق التعصب القومي وجعلوها خالصة لخدمة الانسانية جمعاء ، هؤلاء في نظر حكيم الهند من الاقلية المضطهدة ، وطئهم الدنيا بأسرها ، سموا بارواحهم الى اعلى الدرجات ، لانهم حققوا ولو في انفسهم — الوحدة الانسانية .

رغم سير تاغور مع الزمن في تفكيره هذا السير العصري ، فانه لا يرضى بطغيان روح الآلية والمادية على نفوسنا ، فالآلة في نظره يلزم ان تكون محكومة للروح لا حاكمة لها . لقد كان يخشى ان يصاب الشرق بعدوى من الغرب ، فتصيبه في أعز ما يملك وما يدخر ، تصيبه في ايمانه وثقته بالروح ، فتدفع به الى الآلية والمادية ، فيذهب جمال الشرق ، ويمشي في طريق الخطيئة الروحية التي يندفع فيها الغرب دون وعي وادراك للعواقب . وقد انكر على اليابان اجتياحها الصين عام ١٩٣٧ ، فكتب رسالة الى احد كبار شعرائها جاء فيها : « ان المشرق مهبط الطفولة الانسانية ، ولجز الضمير البشري ، متهماً اليابان بسريان حب السيطرة الغربية اليها » .

هذا هو تفكير الامم الشرقية النائية عنا وجهة نظرها على لسان قادة الفكر فيها ، وخاصة في الهند ، ولئن كان مساس تلك الجهات قليلاً في نفوسنا ، فلقد كان للحركة التركية الحديثة تأثير بيّن عند مفكرينا سواء كان ذلك بالرفض او القبول .

تركيا

كان موقف تركيا الحديثة من الصناعات الاوربية موقف قبول تام ، فالحكومة التركية اليوم تعد حكومة عصرية وان لم تنته بعد من جعل بلادها بلاداً غربية بكل معنى الكلمة ، اذ لا يزال هناك فرق كبير بين تركيا الحديثة والامم الغربية الراقية . لم تكتف تركيا بحركاتها الاصلاحية بقبول صناعات الغرب فحسب ، بل قبلت المدنيات الغربية ايضاً ، وقطعت العلاقة ظاهراً مع تراثها الروحي القديم .

وما كاد يمضي عليها فترة من الزمن حتى اخذت ايضاً تتغنى بحضارتها القديمة ومجدها الاثيل قبل العهد العثماني منه ، لانها ناقمة على ذلك العهد الذي اخّرها في نظرها من اقتباس صناعات الغرب الحديثة . هي اذن لم تقبل المدنية الاوربية الظاهرية فحسب ، بل حاولت اقتباس حضارتها الباطنية ايضاً . ولا ندري لأي حد من الحدود كانت في ذلك موفقة ، لان مراعاة الخصائص الذاتية في الاقتباس هو لا بد منه ، وهي تعتقد تمام الاعتقاد انه لا يكفي اقتباس ظاهر المدنية ، بل لا بد من متابعة ذلك في الجوهر . ولقد كان كما بينا للحركة تأثير على عقول بعض مفكرينا ، وان كان عمق جذرنا في حضارتنا لا يسمح لنا في نبذ حروفنا جانباً .

ان سبب نجاح الصناعات الوطنية في تركيا على الطراز الحديث هو حماية الحكومة نفسها لهذه الصناعات . فشجعت كثيراً من الشركات الاهلية كما انها اخذت على عاتقها انشاء شركات على حسابها الخاص ، ولقد حددت اخيراً المنشآت الخاصة خوف تسرب رؤوس الاموال الاجنبية اليها ، وقامت بمشاريع خاصة ، وهي لا تزال جادة للحصول على اهل الخبرة من ابنائها وتدبير اموال من ذاتها . ولحماية صناعاتها وضعت الحواجز الجمركية . واهم الصناعات الحديثة التي نجحت في ارضها معامل الاسمنت والسكر ، وفي الدرجة الثانية الصناعات المدنية كالحديد والنحاس والنسيج . ولم تمش في ادخال الصناعات بصورة فجائية كما فعلت ذلك في قبول المدنيات الغربية ، بل جارت في ذلك قانون التطور ، فقلدت في ذلك روسيا السوفياتية ، فوضعت مشروع الخمس سنوات لتجتاز بالتدريج العقبات التي امامها ، لان قلب مملكة تسير على النهج القديم في استثمار كنوزها وفي جميع امورها المعيشية لا يمكن ان يأتي دفعة واحدة . ولقد اخذت على عاتقها تجفيف المستنقعات المضرة في الصحة وفي الزراعة ، وسقي الاراضي الشاسعة ، وحماية الغابات

وتحسين منتجات الارض ، وكل ذلك بعون الآلة الحديثة ، وقد صرفت عنايتها ايضاً في استثمار الكنوز المعدنية ، وبناء الموانى الحديثة ، وتنظيم السكك الحديدية ، وكل عمل قبل انجازه كانت تفكر فيه تفكيراً متيناً مستعينة بذلك بالاخصائيين . وفي عام ١٩٣٥ اي منذ عشر سنوات وضعت مشروع الخمس سنوات الثانية وقد انجزت فيه مشاريع الكهرباء ، والزيوت المعدنية ، والفحم الحجري ، بعد ان قامت من قبل بانشاء معامل للحرير الصناعي وذلك عام ١٩٣٤ ، وفي هذا العام نفسه انجزت معامل الورق ، وتقطير الفحم ، وصناعة حمض الكبريت ، والكلور والصود (النطرون) ، وفوق الفوسفات المستعمل في الاسمدة الصناعية ، كما قامت في الاستفادة من قوى المياه ، وانشأت معملاً للآلات البخارية . ومن برامج مشروع الخمس سنوات الثانية تأسيس معهد يعرف بمعهد القدرة (انرجي) للاستفادة من القوى الضائعة كالريح والماء وغير ذلك ، التي كانت تذهب هباء منثوراً . وفي هذا العام تنتهي من المشروع الثالث ، غير ان الحرب الحاضرة على ما يظهر اثرت في صناعاتها ايضاً . وعلى كل فهي لا تفتأ تستفيد اقتصادياً في كل فرصة ، وكل منا يعرف استخراج معدن الكروم في بلادها وبيعه باثمان باهظة في هذه الحرب ، لانه يستعمل مع الفولاذ لمنع الصدأ ولا يخفى تأثير ذلك على المعدات الحربية ، وقد كادت تنتهي بازمة سياسية لولا ان تداركتها بحكمتها . وهي لا تمتنع عن استشارة الاجانب في المشاريع التي تنوي القيام فيها ، لانها تقوم عن روية وتبصر ، وهي تعتبر ان كل خذلان في انجاز مشروع من المشاريع هو بمثابة نزع الثقة منها ، وينجم عن ذلك تبلبل في الامور وفوضى المسئولية ، وضعف ارتباط الامة بالحكومة ، لانه يكون مفككاً اذا كان ناشئاً عن عنف فقط ، مؤسساً على القوة الظاهرية غير مدعم بقناعة باطنية ، والنجاح في المشاريع هو سر الثقة كما ان الخذلان هو سر نزعها من القلوب ، لان الحكم المؤسس على الاكراه والقهر لا يعمر طويلاً . من اجل ذلك تسهر الحكومة وتأخذ الحيطة لنجاح مشروعها ، فتتخذ لذلك خططاً حكيمة قابلة للتنفيذ مراعية بذلك وضعها والمجالات المعطاة لها . ولا تمشي في ادخال الصناعات الغربية دون مراعاة امرين هامين هما اولاً الحصول على مواد الخام الضروري للصناعات المنوى ايجادها والتفكير في منفذ لهذه البضائع الضخمة ثانياً . ولا يخفى ما لهذين العاملين الهامين في قضايا الصناعات الحديثة من خطورة كبرى ، وكم من مرة كانا من جملة العوامل الاقتصادية في اعلان الحروب الدموية واسالة دماء الابرياء ، فايجاد مواد جديدة وتصريف البضائع هو ولا شك من اهم مشكلات الالات الحديثة . ولا اظن ان ثمة سلماً يمكن تحقيقه في المستقبل بين الدول دون مراعاة القضايا الاقتصادية المرتبطة بالالات الحديثة اشد ارتباط ، فاذا تكدست البضائع احدثت كابوساً هائلاً على اصحاب المعامل ، واذا انعدمت او قلت المواد الضرورية كان ذلك الموت الزؤام .

لما علمت الحكومة التركية اهمية مواد الخام قامت بجانب المشروع الصناعي بمشروع زراعي واسع النطاق ، ويطول الشرح اذا ذكرنا المعاهد الزراعية التي اسست والبعثات الفنية التي ارسلت الى اوربا واميركا ، واستخدام الالات الحديثة في الانتاج الزراعي وغير ذلك وقد ساعدها على رقي الزراعة عندها طبيعة ارضها ولان ثلاثة ارباع السكان هم من الفلاحين . وقد كان لترقية الزراعة بجانب الرقي الصناعي حل لازمة اقتصادية هائلة من جهة وعدم الافراط في الآلية وما ينجم عن ذلك من عواقب ، من جهة اخرى .

ويمكننا ان نتعلم من جارتنا في تسيير دفة الصناعة الحديثة اموراً كثيرة ، لتشابه الوضع من اوجه عديدة : اولاً للحظ المشترك في التأخر عن الاقتباس عن الغرب ، ثانياً للتشابه بين ثقافة الشعبين ، ثالثاً للتماثل بين طبيعة الارضين ، فكلا البيئتين تساعد على المشاريع الزراعية . وان عجبت لشيء فعجبي لاشخاص يقلدونها باءمور لا تثمر ولا تغني من جوع ، كلبس القبعة الاوربية ، واستعمال الحروف اللاتينية ، وقبول العادات الغربية الظاهرية دون قيد ولا شرط ولا مراعاة لقابليتنا ولا خصائصنا الذاتية ، ولا تراثنا المتغلغل في افئدتنا ونواحي تفكيرنا منذ آلاف من السنين ، وهم يغمضون اعينهم عن الامور الجوهرية في انشاء صناعات حديثة بنظام تدريجي وبحكمة رزينة واسلوب معقول ، مع محاولة حل المشكلة باعصاب هادئة وروية مع ادراك سير الزمن وما يتطلبه من انقلابات اجتماعية بروح يسودها التفاهم مع انفسنا ومع العالم ، ولكن على ما يظهر اننا نغتر كثيراً بالقشور دون اللباب .

وقبل ان ننتقل الى البلاد العربية نود ان نقول كلمة موجزة عن ايران :

ايران

ان ايران الحاضرة بالنسبة لما قبل الحرب العالمية الماضية بلاد عصرية . بيد ان حركة التجدد لا تمشي هناك بنفس الخطى التي سارت عليها تركيا بل بسرعة اقل واحتياط زائد من نواحي

قبول المدنية الغربية ، فايران لا تريد اقتباس شيء دون قيد ولا شرط ، فهي تحرص على تراثها ، ويمكننا القول انها لم تنقطع عنه ابداً ، فانتاجها للفن كاد يكون في كل دور من ادوارها غزيراً . ان اعتناق ايران للديانة الاسلامية وضعها امام معضلات جديدة للفن ، ولكنها تمكنت لحل ذلك بما يوافق طبيعتها ، فاقتبست قيماً فنية جديدة كما انها اهدت للعالم الاسلامي قيماً جديدة ايضاً . ولقد كان لها باع طويل في القاشاني والسجاد ، ولا نزال ننظر باعجاب زائد لمصنوعات السجاد الايرانية ، رغم انها فقدت من جمال صنعها القديم شيئاً كثيراً .

ولعل العلاقات بين الامم الغربية وايران متأتية من تلك الثروة المعدنية الكامنة في ارضها الا وهي النفط او الذهب السائل . ويقول يوسف يزبك في كتاب له عن النفط ان السبب الذي حدى بالباحث البريطاني عن زيوت ايران المعدنية ما كان سمعه عن بعض قبائل الشرق التي كانت تعبد النار ، وان الهياكل التي بناها المجوس كانت منارة بلهب دائم يصعد من الارض وألسنة النار ترتفع عالياً ولا يؤثر فيها مطر ولا هواء . ولقد قال العالم البريطاني في نفسه انه يجوز ان يكون كهان المجوس قد بنوا هياكلهم في تلك الارض لايقاع الناس في الوهم ان دياناتهم هي فوق ادراك البشر ، وان لها القوة الخالدة . ولم يكن عسيراً على هذا الرجل المحنك التقرب من الشاه ، فدخل عليه مظهراً حبه للشرق لانه مهبط الوحي ومبعث شعلة العرفان لا نريد التوغل عن كيفية استخراج هذه المادة الثمينة في ايران ، ولا عن الشركات التي أسست فيها لهذا الغرض ، ويكفي ان نشير بان وجودها في تلك الارض وبحث الغربيين عنها واستثمارها هو الذي نبه افكار الايرانيين عن اهمية علوم اوربا الحديثة وآلاتها الميكانيكية . ولقد تأسست منذ عهد قريب شركة وطنية لاستثمار ينابيع النفط التي انبجست من ممنان شرقي طهران ، كذلك هناك محاولة لاستخراج المعادن ، لان تلك الارض غنية بالنحاس والحديد والكبريت وكبريت الزرنيخ والفيروزج والجبس والملح والمرمر والفحم الحجري وغير ذلك ، ولا تزال قضية المعادن قيد الدرس .

وقد ساعد وجود الزيوت وقيام الشركات الضخمة في فارس على مد خطوط الحديد والقيام بمشروع صناعي حديث على النهج التركي ، وقد نجحت هناك مشاريع النسيج والسكر وكذلك الاسمنت ومصانع الزيوت والصابون واستخراج الغليسرين . كما حدث منذ عام ١٩٣٧ انشاآت جديدة لدفع البلاد الى التطور الصناعي ، كتكوين لجنة اقتصادية غايتها تشجيع الاعمال الصناعية الحديثة جعلت من واجباتها تعيين مواقع العمل والرأس المال اللازم والمجالات التي يمكن تحقيقها ، وتتكون هذه اللجنة من الوزير المسئول ودهاقين رجال الاقتصاد ولا تنحصر اعمالها في تدقيق ما يعرض لها من الاسئلة بل في فتح مشاريع جديدة واعطاء تقارير من شأنها تنشيط الحركة الصناعية العصرية . وقد اوجدت هذه اللجنة لجاناً فرعية ، آخذة على عاتقها التعاون بين الصناعة والزراعة للاسباب التي بيناها اثناء كلامنا عن تركيا الحديثة .

ومع كل سيطرة للآلة فلا يزال لصنع اليد في بلاد فارس قيمة كبرى ، نظراً لتفنن الصناع وشهرة المنتجات الفنية في العالم ، من ذلك ادوات البيت المعدنية التي تصنع بكيفية شبيهة بنا كما هو الحال في سوق النحاسين في مدينة حلب ، كذلك لا يزال الخزف يصنع على الطريقة القديمة ، وتزدهر صياغة الذهب والفضة المرغوبة من الغريب . ولقد اتخذ بعض الناس الالات الحديثة بغية استخراج كميات كبيرة من المصنوعات فربحوا من الوجهة التجارية ولكنهم خسروا من الوجهة الفنية ، فسدت معها ارزاقهم وقتلت روح الابداع فيهم ، لان كل منتوج يخرج بصورة آلية لا اثر للابتكار ولا للخلق الشخصي فيه وعلى ما يظهر ان عزة الشعب الايراني وفخره بماضيه التليد ، سوف يوقظ الروح الفنية مرة ثانية مبدعاً قيماً جديدة يتناسب مع تلك النفس التي تكونت نتيجة تطور العصور .

وقد بقي علينا ان نتحدث عن مشكلات الصناعات الغربية في البلاد العربية . وهذا هو موضوعنا في المقال القادم .

حلب **محمد يحيى الهاشمي**

غـــدنا التربـــوي

بقلم جورج شهلا

الاستاذ في جامعة بيروت الاميركية

من اهم ما يلفت الانظار في هذه الايام العصيبة ، انه مع شدة الازمة العالمية ، لا تزال الدول المتحاربة تبدي اهتماماً عظيماً بشؤون التربية وتطلعنا من حين الى حين على انباء النشاط الذي يحيط بهذه الشؤون وما طرأ عليها من تغيير منذ انفجار الحرب وما رسم لها من خطط جديدة للسنين المقبلة .

هذا النشاط التربوي الذي نشهده اليوم ، قد شهد العالم مثله في غضون الحرب الماضية وكثير من الاصلاحات التربوية التي استفادت منها الشعوب الغربية في ربع القرن الاخير انما هي نتيجة ذلك النشاط .

ولعل ما يصدق على الحربين الاخيرتين من هذا القبيل يصدق ايضاً الى حد بعيد على ماسبقها من الحروب والاضطرابات . وكأنما الدولة التي تجتاحها هزة عنيفة ، سياسية كانت أم اقتصادية أم دينية أم فكرية تتنبه الى وجوب اعادة النظر في تربية ابنائها واعدادهم احسن اعداد لمجابهة حدثان المستقبل . وفي الواقع اننا اذا تصفحنا تاريخ التربية منذ اقدم الازمان الى يومنا هذا . رأينـا ان للتعليم علاقة وثيقة بحياة الشعوب المتمدنة ، وان له شأنـاً عظيماً في الحركات الاصلاحية والنهضات القومية ، بل هو الركن الاساسي الذي يرتكز عليه كيان الدول ومناعتها . لقد ادرك الفيلسوف العظيم افلاطون هذه الحقيقة قديماً ، عندما حاول بنـاء جمهوريته المثلى ، ومنذ ذلك الحين ، اخذ بناة الجمهوريات والقوميات ، يتعظون بمواعظه ويسيرون على خطواته .

على ان اهتمام الدول بامر التعليم في العصور السالفة كان ضئيلاً جداً بالقيـاس الى ما هو عليه اليوم ، او ما صار اليه في العصور الحديثة ، ولا سيما منذ اواخر القرن الثامن عشر . في ذلك الوقت اخذت تجتاح العالم حركة فكرية قوية ، كانت فاتحة عهد جديد في حياة الشعوب الديمقراطية . كان الفرنسيون على ابواب ثورة هزت العـالم من اقصاه الى اقصاه ، وقد اوشكوا ان يبتنوا لانفسهم جمهورية جديدة ، في جوّ مشبع بالاخـاء ، والحرية ، والمساواة . وكان الاميركيون قد انفصلوا عن جسم الامبراطورية البريطـانية واخذوا يرسمون لانفسهم خطة لحيـاة جديدة ملؤها الحرية والاستقلال .

وكان البريطانيون قد اصطدموا صدمات عنيفة وتعلموا دروساً اجتماعية قاسية ، فاخذوا يصلحون من شأن بلادهم ويعدلون بعض قوانينهم واحكامهم ، لتتلاءم مع روح ذلك العصر الجديد .

في هذه الآونة الخطيرة اخذ انصار الديمقراطية وفلاسفتهـا يجاهرون بان نشر العلم بين طبقات الشعب لهو من الاسس المتينة التي يقوم عليها صرح الحرية والاستقلال . واليكم بعض الحجج التي ادلى بها فريق من اولئك الفلاسفة ، لدعم نظريتهم الجديدة ، اذكر منها ثلاثة لشدة ما لها من العلاقة بموضوعنا . قـال بعض اولئك الفلاسفة :

اولاً — انه ليس من الحكمة في شيء ، ان تظل الفروق الاجتماعية بين طبقة الاغنياء المتعلمين ، وبين عامة الشعب الاميين . وان تُرك هؤلاء على اميتهم وجهلهم كانوا خطراً كبيراً على سلامة المجتمع .

ثانيـاً — ان الحرية والجهل — كالنور والظلمة — ضدان لا يجتمعان . الشعب الأمي الخامل ، والحياة الديمقراطية الحرة ابداً لا يتلاءمان . فاذا ارادت امة لبلادها حرية واستقلالاً ، ترتب عليها قبل كل شيء ، ان تعتاض عن ظلمة الجهل ، بنور العلم ، والعرفان .

ثالثاً — ان الاستقلال الذي يقوم على اساس ضعيف من الامية والجهل ، لهو استقـلال زائف ، لا يلبث ان تتزعزع اركانه ، ثم ينهار على رأس القائمين به .

اجل ، لقد ادرك قادة الفكر في تلك الفترة ، ان التعليم هو حجر الزاوية في بناء نظامهم الاجتماعي الجديد . وكان فلاسفة فرنسا في طليعة القائمين بهذه الحركة المباركة ، والمجاهرين بهذه النظرية التربوية الجديدة . وكانت مجالس فرنسا جميعها من اكبر الدعاة اليها ، واخيراً لما جاء نابوليون الكبير الى رئاسة الحكم في اوائل القرن التاسع عشر ، تبنى هذه النظرية القديمة ، وطبعها بطابعه الخاص ، وادخلها في صلب نظامه الجديد ومما قاله يومئذ في هذا الصدد : « ان غرضي الاول من تأسيس نظام تعليمي هو ان يكون لدي وسيلة لادارة الآراء السياسية والخلقية في البلاد » وهكذا كان نابوليون ، رجل الحروب والسياسة ، كثير الاهتمام بشؤون التربية، واسع الخبرة بما لها من الاثر الخطير في حياة المجتمع . ولا بد لي بهذه المناسبة — والشيء بالشيء يذكر — من ان اشير بوجه الاختصار الى موقف الالمان في تلك الآونة من هذه النظرية التربوية الجديدة . كان نابوليون قد كسرهم شر كسرة في معركة « جانا » المشهورة سنة ١٨٠٦ وانتزع من ايديهم معظم السلطات التشريعية والتنفيذية والقضائية فاصبحت البلاد كلها تحت رحمته . على ان امراً واحداً لم يتعرض له هذا الفاتح العظيم ، هو امر التربية والتعليم وذلك — على ما زعم بعض المؤرخين — لانه ضن بوقته الثمين ان يصرف في امور تافهة كالالقباء . ومهما يكن السبب الحقيقي الذي من اجله اهمل نابوليون امر التربية في المانيا ، فان ذلك الاهمال مستغرب ، لانه كان يعلم حق العلم ، ما للتعليم من الاثر البليغ في البناء القومي .

اما الالمان فقد عرفوا في ذلك الوقت كيف يستفيدون من خطأ عدوهم . فجاء فيلسوفهم الكبير « فيخته » وكان رئيساً لجامعة برلين والقى في سنة ١٨٠٧ و١٨٠٨ سلسلة من الخطب الحماسية ، استنهض بها الهمم الواهنة ، ودعا الناس الى تحسين حالهم ، ليصبحوا امة عظيمة ، واكد لهم ان السبيل الوحيد الى ذلك هو التعليم . وقد نال هذا الفيلسوف يومئذ ثقة الشعب الالماني ، فقام بينهم من اهل العلم والوطنية من شدوا ازره وعاضدوه في جد ونشاط . فلم يمر عليهم جيل او اثنان ، حتى علا نجمهم ، وتحققت فيهم آمال فيلسوفهم . عندئذ قام بسمارك للعلم الالماني يوفيه التبجيل اذ قال « ان الذي انتصر في معركة (سادوفا) وغيرها من معارك حرب السبعين انما هو معلم المدرسة » .

واليكم نتفة مما قاله هذا العالم الكبير فيخته في احدى محاضراته ، لعلها تطلعنا على رأيه ورأي غيره من فلاسفة ذلك العصر ، في اهمية التربية في النهضة القومية ، قال :

« ليت الدولة تدرك تمام الادراك ، انه لم يبق لديها مجال للعمل كدولة مستقلة ، سوى تربية الجيل الناشيء . وان هذه التربية ، هي كل ما نستطيع القيام به الآن . . .

لقد سبق وقلنا اننا لم نعد قادرين على ان نقاوم مقاومة فعلية — ذلك امر واضح يسلم به الجميع . فكيف يمكننا اذن ان نحمي كياننا هذا . . . من عار الجبن والخنوع ؟ . . . ان لذلك سبيلاً واحداً لا ثاني له ، وهو ان . . . نربي لنا خلفاً صالحاً ، وان نكرس حياتنا لمجرد الوصول الى هذا الغرض . فانه ان لم يكن هذا غرضنا في الحياة ، فأي غرض لنا فيها ؟ ان قوانيننا ستسن لنا ، والمعاهدات التي يلزم عقدها ستملى علينا ، والوجه الذي يجب ان نصرف فيه قوانا الحربية سيشار به علينا . . . جميع هذه المهمات ، سترفع عنا مسؤوليتها في السنين المقبلة ، الا التربية وحدها لم يفطن لها احد . فاذا كنا نفتش اليوم عن عمل نقوم به لنتمسك بهذا العمل الذي . . سنترك فيه وشأننا . ولي ملء الرجاء — . . . وهو الرجاء الوحيد الذي لا ازال احيا لاجله — ان اقنع بعض بني قومي بان التربية وحدها هي التي تستطيع ان تخلصنا من جميع الويلات التي حلت بنا .

يتبين لنا من هذه اللمحة التاريخية السريعة ، ان التربية تلعب دوراً هاماً في توجيه الشعوب والامم ، وان البلاد التي يؤخذ منها استقلالها ويترك بيدها تربية ابنائها لا تلبث ان تستعيد ذلك الاستقلال المغتصب . كما ان البلاد التي تأخذ استقلالها ولا يكون بيدها تربية ابنائها لا تلبث ان تفقد هذا الاستقلال فيؤول امرها اخيراً الى الرق والاستعباد . ومما تنبهت دول الغرب الى اهمية التربية ، وتأثيرها البليغ في حياة المجتمع حتى شرعت في استلام زمامها ، معتبرة انها وظيفة من اهم وظائفها . واخذت تنشيء الواحدة تلو الاخرى انظمة علمية تخدم حاجتها ، وتتلاءم مع سياستها . وما زالت تعدل هذه الانظمة وتصلحها على ضوء اختباراتها في ايام السلم والحرب ، حتى اصبحت وسائل فعالة لتسيير سياستها في مصلحة الفرد والمجموع معاً . ولعل اعظم مثال على ذلك في ربع القرن الاخير ، هو ما قامت به روسيا من الاعمال التربوية الباهرة التي ادهشت العالم اجمع .

فلا عجب والحالة هذه ، اذا نشطت الدول اليوم في مختلف انحاء العالم الى رسم الخطط الجديدة للتعليم ، وادخال الاصلاحات على نظمه القديمة . فهذه بريطانيا العظمى مثلاً قد نشرت منذ

نشوب الحرب ، عدداً ليس بقليل من القوانين والتقارير التي تبحث في مستقبل التعليم . فهنالك من منشورات وزارة المعارف وحدها للعامين الاخيرين فقط عدة تقارير هامة تتحدث عن انقلاب تربوي عظيم في تلك البلاد . ولا ريب عندي في ان الدول المتحاربة الاخرى سائرة ايضاً على هذه الطريقة نفسها . باذلة جهدها في اصلاح نظمها القديمة ، على رغم انها في امس الحاجة الى بذل كل مجهود في سبيل النصر النهائي .

•

ولما كانت البلاد العربية بوجه الاجمال ، قد بلغت من الوعي القومي والعزة القومية ما يمكنها من استلام مقدراتها بيدها ، فانها شرعت هي ايضاً في رسم خطط تربوية جديدة ، تصلح للحياة الجديدة في الاجيال المقبلة . ادركت هذه الاقطار ان التربية هي الركن المتين الذي تقوم عليه نهضتها القومية وحركتها التقدمية ، فتحفزت حكوماتها ورجال التربية فيها للقيام باصلاحات تربوية خطيرة تبشر بمستقبل زاهر . فهذه مصر طليعة الاقطار الشقيقة ، تصدر في عام ١٩٤٣ بقلم وزير معارفها صاحب المعالي احمد نجيب الهلالي باشا ، تقريراً عن اصلاح التعليم في مصر ، فيكون له دوي عظيم في وادي النيل ، ويسميه المقرظون بالاصلاح الدستوري والاصلاح البرلماني باعتبار انه تصميم لبناء الدولة والامة ، ثم تتناوله اقلام المربين بالنقد والمناقشة ، واخيراً يتمخض هذا الاخذ والرد عن كتاب آخر يؤلفه قبل بضعة اشهر المربي الكبير عميد معهد التربية بمصر ، الاستاذ اسماعيل محمود القباني بك ويسميه « سياسة التعليم في مصر » ، فيكون متمماً لتقرير معالي الوزير ، ويتلقفه رجال الاختصاص في كل ارجاء الشرق العربي ، لدرسه والوقوف على آرائه القيمة .

وهذه فلسطين لا تني تعنى عناية خاصة بامر التربية والتعليم ، وادارة معارفها هي ، في نظري ، من اكثر دوائر الحكومة نشاطاً واقداماً . والذي يطلع على تقاريرها سنة بعد سنة يرى تقدماً مطرداً في مختلف نواحي التربية ؟ وانها استطاعت في ربع القرن الاخير ، ان تقوم باصلاحات ذات شأن ، في كمية التعليم وفي نوعه ، على رغم النكبات التي حلت بالبلاد في هذه الفترة من تاريخها . اما التقدم الكمي ، فان الارقام والخطوط البيانية في هذه التقارير ترينا سيره بأجلى بيان . فاذا قابلنا مثلاً عدد الطلاب والطالبات العرب في جميع مدارس فلسطين في سنة ١٩٢٢ وسنة ١٩٤٢ وجدنا انه زاد ثلاثة اضعاف ، وان نسبته الى عدد السكان العرب كانت ٥ بالمئة فاصبحت ثمانية ونصف بالمئة . اما التقدم النوعي فانه يسير جنباً الى جنب مع التقدم الكمي . فمن تأسيس معاهد لتدريب المعلمين والمعلمات ، الى فتح مدارس زراعية وصناعية ، الى انشاء مدارس واقسام داخلية ، الى تنشيط التعليم في القرى وتنظيم الحدائق المدرسية فيها ، الى توفير اسباب العلم لابناء العشائر ، الى تمهيد السبيل للتعليم الالزامي العام ، الى تأليف لجان محلية للمعارف ، الى جعل اللغة القومية اداة للتعليم على اختلاف انواعه ومراحله ، الى غير ذلك مما يدعو الى الاعجاب والثناء . وقد كتب في العام الفائت مساعد مدير المعارف الاستاذ جبرائيل كاتول سلسلة مقالات في مجلة المنتدى يلخص فيها ما تم في فلسطين العربية من الاصلاحات التربوية في العقدين الاخيرين ، وما يأمل ان يكون من امر المعارف هناك في المستقبل القريب ان شاء الله .

وهوذا العراق ايضاً يبدي نشاطاً فائقاً ويخطو خطوات واسعة في حقل التعليم . يدلنا على ذلك التقدم الحثيث ، والتوسع العظيم الذي تم هناك في ربع القرن الاخير . اذ زاد عدد الطلاب في هذه الفترة عشرة اضعاف او اكثر ، وبلغت نفقات التعليم في سنة ١٩٣٩ اثنا عشرة ونصف بالمئة من مجموع نفقات الحكومة . وهي لعمري نسبة عالية ، بالقياس الى ما ينفق على التعليم في سائر انحاء المعمور . وقد نشر في العام الفائت المربي القدير الدكتور فاضل الجمالي « مذكرة في مستقبل التربية والتعليم في العراق » تناول فيها بحث اهداف التعليم ، والسياسة العامة التي ينبغي ان يسير عليها ، والوسائل المختلفة التي تؤدي الى تحقيق تلك الاهداف . والظاهر ان هذه المذكرة احدثت حركة فكرية في صفوف المشتغلين بالتربية ، فلم يمض على نشرها بضعة اسابيع حتى رأينا رداً عليها بقلم الاستاذ القدير السيد عبد الفتاح ابرهيم . ولا شك ان العراق سيشهد كثيراً من الاصلاحات التربوية الناشئة عن هذا الاخذ والرد .

اضيف الى هذا كله ان ذلك القطر الشقيق يفكر اليوم بصورة جدية ، في تأسيس جامعة عراقية تضم اليها جميع الكليات الموجودة هنالك وتوسعها وتزيد عليها وفي العام الفائت نشر المربي القدير الدكتور متى عقراوي مقالاً قيماً في جريدة البلاد تحت عنوان مشروع الجامعة العراقية بين فيها اولاً العقبات التي تعترض هذا المشروع ، ثم الوسائل التي تساعد على القيام فيه .

ولنأت اخيراً الى سوريا ثم لبنان . لا تكاد سوريا تنال استقلالها حتى تتنبه الحكومة الى اهمية التربية في البناء القومي . فتكلف المربي الشهير الاستاذ ساطع بك الحصري ، ان يدرس

حالة التعليم في البلاد ، ويضع لهـا التقارير المفصلة عن الاسس التي يقوم عليها اصلاحه فيتولى حضرته هذه المهمة بمـا عرف عنه من طول الباع والتدقيق العلمي ، ولا يمضي عليه غير بضعة اشهر ، حتى يتم العمل ، ويقـدم للحكومة تقريراً مفصلاً عن نواحي الموضوع المختلفة . ثم تنشر هذه في كتاب عنوانه « تقارير عن حالة المعارف في سوريه واقتراحات لاصلاحها » ، ويأخذ مجلس النواب السوري في بحثها ومناقشتها ، ملخصة في « مشروع قانون المعارف العام » ، ولا يمضي عليه وقت طويل حتى يقرهـا بشيء قليل من التعديل ، فيستقر نظام التعليم في سورية على اسس علمية حديثة .

وهوذا لبنان يتحفز اليوم للنهوض بالتربية الى المنزلة اللائقة بها ، وهو يعلم علم اليقين ما لها من الاهمية في بنائه القومي الجديد . ولعل نشاطه في شؤون التربية لم يكن في الآونة الاخيرة ، بأقل منه في سائر شؤون الدولة .

ففي اوائل عهد الاستقلال الحـالي ، القى رئيس الحكومة بيانه الوزاري في مجلس النواب ، وفيه قسم خاص بالتربية الوطنية ، اود ان اثبت جزءاً منه لشدة اهميته :

« وتتجه انظار الحكومة الحاضرة نحو التبعـات الجسام التي يفرضها عهد الاستقلال الحالي في شتى مبادىء التربية الوطنية .

فستسعى الحكومة لان تربي النشء تربية وطنية صحيحة ، وبان يوجه منذ الآن توجيهاً صريحاً نحو الحرية والعزة والاستقلال ، وستتخذ الوسائل اللازمة لتعزيز اللغة العربية — لغة الوطن اللبناني — في جميع المعـاهد الموجودة في بلادنا ، وفي جميع فروع التعليم . وتاريخ البلاد وجغرافيتها وما الى هاتين المـادتين يجب ان ترعى حرمته المفروضة ، بحيث لا يخرج ابناؤنا وهم أعرف ببلاد غيرهم منهم ببلادهم . فنحن نريد ان نخرج نشئاً واحداً موحـد الهدف والشعور والوطنية .

وستجعل التعليم الابتدائي اجبارياً وتعمل على نشره وتعميمه في القرى اللبنانية حتى يقضى على الامية قضاء تاماً وستعنى الحكومة بوضع منهاج خاص بالتعليم الثانوي تتمشى عليه جميع المعاهد الخاصة .

وبعد القاء هذا البيان ببضعة اشهر اصدر معالي وزير التربية الوطنية قراراً بتشكيل اربع لجان تجمع عدداً من الخبراء في التربية والتعليم ، مهمتها درس مناهج التعليم واصلاحها وبعد ان شكلت هذه اللجان وجه معاليه الى حضرة مدير التربية الوطنية كتاباً بين فيه المقصود من قرار الوزارة ، والتوجيه الذي يرجى من المناهج الجديدة . فاجـاب حضرته بكتاب ملؤه النشاط والامل . ثم باشرت اللجان اعمالها وهي لا تزال تعمل الى يومنا هذا .

والمأمول انها ستتم قريباً ما وكل اليها درسه ، وستقدم مقترحاتها لوزارة التربية الوطنية ، فتتخذ هذه الاجراءات اللازمة ، في سبيل تنفيذها .

واني شديد الاعتقاد بان الحكومة الجديدة سائرة في سياستها التربوية على نفس الخطة التي سارت عليها الحكومة السابقة ، وبان الحكومات المستقبلة ، مهما يكن لونها السياسي ، لن تخرج عن هذه الخطة الرشيدة بل تظل دائبة في تنفيذهـا ، حرصاً على استقلال البلاد .

على ان الحكومة الوطنية ليست هي الهيئة الوحيدة التي أبدت نشاطاً تربوياً في الاشهر الاخيرة . فان الجنرال كاترو القى خطاباً قيماً منذ اربعة عشر شهراً عن الوضع السياسي في ذلك الحين ، أبان فيه بوضوح وجلاء ما للتربية الفرنسية من الاهمية الخطيرة في هذه البلاد ، وصرح مؤكداً بوجوب الاحتفاظ بهذه التربية وتقويتهـا على مرور الايام . القى حضرته هذا الخطاب ، في نادي الاتحاد الفرنسي ببيروت في السابع والعشرين من شهر كانون الاول سنة ١٩٤٣ أي بعد حوادث تشرين الثاني المعروفة ببضعة اسابيع ، وبعد ان وقع الاتفاقية التي نقلت بموجبهـا الصلاحيات الى الحكومات المحلية بخمسة ايام . قال الجنرال ، مخاطباً نادي الاتحاد الفرنسي :

« تعلمون حق العلم ، ان الذي اكسبنا في هذه البلاد مركزاً ممتازاً ، ونفوذاً متفوقاً ، مدة طويلة من الزمن هو قيمتنا الثقافية . وانه من المؤكد اننا في حقل التعليم محتفظون بقواعد لن نفقدهـا ابداً ، بل على عكس ذلك ، يجب علينا ان ننميها اكثر فأكثر » .

ثم ان هذه النهضات التربوية القائمة في كل قطر من الاقطـار العربية على حدته ليست كل ما في الامر . فانه بالاضافة الى هذه النهضات المباركة ، نلاحظ ايضاً ان بين الاقطار الشقيقة نزعة الى التقارب التربوي ، اذ تدعو في كثير من تقاريرها الى تقوية الصلات الثقافية ، وتوحيد الاهداف التربوية .

وقد خصص ساطع بك الحصري تقريراً كامـلاً من تقاريره الستة عشر ، يبحث فيه توثيق الصلات الثقافية بين سوريا والبلاد العربية الاخرى . وفي الواقع ان بعض الاقطار العربية ، لم تقف عند حد الرغبة في التقارب الثقافي ، بل باشر تحقيق هذه الامنية بصورة عملية موفقة . فقد قررت الحكومتان المصرية والعراقية في السنوات الاخيرة ، تأسيس مكتب في القاهرة ، للتعاون الثقافي بين القطرين الشقيقين . وفي صيف سنة ١٩٤٣ عقد هذا المكتب

اجتماعـاً ، دعا اليه مندوبين من الفريقين ، وبحث في جلسات عديدة مشروع معاهدة ثقافية بين مصر والعراق ، واخيراً أقرّ المكتب هذا المشروع، وعرضه على الحكومتين المصرية والعراقية فوقعتا عليه ، واتخذت بشأنه الاجراءات القانونية ، ووضعت المعاهدة موضع التنفيذ من تاريخ توقيعها .

وتتناول هذه المعاهدة الثقافية في موادها الاربع عشرة اسساً كثيرة التعاون . فهنالك تبادل الاساتذة والطلاب وتبـادل المطبوعات وسائر الوسائل التعليمية . وهنالك توحيد المصطلحات العلمية وحماية حقوق التأليف والترجمة والنشر . وهنالك تقريب مناهج الدراسة وتعادل مراحل التعليم وشهاداته ، وهنالك تشجيع الاسفار والرحلات الثقـافية والكشفية والرياضية وتشجيع عقد المؤتمرات العلمية والثقافية والتعليمية الى غير ذلك من وسائل التعاون التي لا مجال للكلام عليها الآن ولعل اهم ما جاء في المعاهدة هو انه ينبغي عرضها على الدول العربية الاخرى لتنضم اليها اذا شاءت وبذلك تكون المعاهدة نواة لحلف ثقافي عربي عام . ولقد عرضت المعاهدة في الواقع على الدول العربية فانضم اليها في العام الماضي على ما اعلم الحكومة السورية وعن قريب ستعين هذه الحكومة المندوبين لمكتب التعاون الثقافي في القاهرة .

ولا يخفى ان هنالك لجنة ثقافية لمؤتمر جامعة الدول العربية يمثل فيها لبنان وغايتهـا بحث الوسائل الممكنة لتحقيق التعاون الثقافي بين الاقطار العربية . وقد اجتمعت هذه اللجنة اجتماعات متوالية في الشهرين الاخيرين ولا نعلم ما هي المقررات والاقتراحات التي رفعتها لمجلس الجامعة .

ولا بد لي بهذه المناسبة من ان اشير الى الكتاب القيم الذي اصدره في هذا الشهر المربي القدير الاستاذ عبدالله المشنوق وموضوعه التعاون الثقافي بين الاقطار العربية — كيف افهمه وانجع الوسائل لتحقيقه » .

وصفوة القول ان البلاد العربية دائبة عند مطلع حياتهـا الجديدة في وضع خطط تربوية ، تتناسب مع روح العصر الجديد . والذي يلوح لي ان هذه الخطط . وان اختلفت بعضها عن بعض في الامور الفرعية . فانها تتفق الى حد بعيد ، في كثير من الامور الاساسية . من أهم هذه الامور المتفق عليهـا ، على ما ارى ، هو وجوب تنظيم التعليم القومي وتوسيعه وتعزيزه ، مع جعل الابتدائي منه اجبارياً لجميع الصبيان والبنات على السواء .

ولا يخفى ان للتعليم القومي في الاقطار العربية فوائـد جة ، اقتصر على ذكر واحدة منها لضيق المجال وهي ان التعليم القومي يساعد على توحيد نزعات الامة المتبعثرة ، والتقريب بين عناصرها المتنافرة فهو البوتقة التي تصهر بها جميع العناصر لتصير جسماً واحداً لا تقوى على تجزئته حدثان الدهر ، وكتلة متراصة تتجه اتجاهـاً واحداً ، وتؤمن بعقيدة قومية واحدة وتسعى الى اغراض قومية واحدة .

وما احوجنا في الشرق العربي الى هذا التوحيد وقد لعبت بنا يد الزمان اجيالاً عديدة ففرقت صفوفنا وفككت اوصالنـا ، وتركتنا منقسمين على انفسنا .

والذي يزيدنا تفككاً وانقساماً ، هو ان المتعلمين بيننـا قد تأثروا بالوان مختلفة من التعليم ، فنشأ عن ذلك بلبلة فكرية وعاطفية لها اثرها الخطير في حياتنا القومية . فهذا يتلوّن بلون عربي وذاك بلون غربي . هذا يفكر تفكيراً استقلاليـاً ، وذاك تفكيراً اتكالياً . هذا يتجه اتجاهاً دينياً ، وذاك اتجاهاً علمانيـاً . هذا يرى الخير كل الخير في نظام اقتصادي سياسي خاص ، وذاك يرى الخير كل الخير في نظام آخر . اضف الى ذلك كله ان كلا منا ينظر شزراً الى لون الآخر والى فكرة الآخر والى عقيدة الآخر والى اتجاه الآخر . فكيف يمكننا اذن ان نتفق ؟ وكيف يمكننا ان نتفاهم ؟ وكيف يمكننـا ان نتعاون لتحقيق اغراض قومية مشتركة ؟ والاغرب ان بعض الناس وصمنا اخيراً باننا اتفقنا على ان لا نتفق كأن عدم الاتفاق هو جزء من طبيعتنا .

ومعلوم ان هذا الاضطراب الفكري والعـاطفي ، ناشيء بالاكثر عن التعليم الخاص — اهلياً كان أم اجنبياً ليس من ينكر ان لهذا التعليم فضلاً كبيراً على البـلاد ، وان له في نظام التربية محلاً هاماً . وان له خدمات كثيرة يستطيع ان يؤديها في المستقبل كما اداها في الماضي . غير انه فيما ارى لا يمكن الانتفـاع به من غير ان يعود على البلاد بالضرر الا اذا كان خاضعاً لمراقبة وزارات التربية الوطنية .

ولست اعني بخضوع التعليم للمراقبة ان تحجز حرية المعلم وان تغل يداه فيما يتعلق بامور الفن والاسلوب . ففي هذه الامور يجب ان يكون المعلم حراً طليقاً الى حد بعيد وانما اعني بذلك ان التعليم في المدارس الرسمية والخاصة على السواء يجب ان لا يتنافى في جوهره مع الاغراض القومية والمبـاديء الوطنية . فلا يجوز مثلاً لأية مدرسة مهما يكن لونها ان يكون بناؤها او محيطها غير صحي ، او ان يكون التعليم فيها دون المستوى المطلوب او ان تتقن تعليم

الاديب وكتاب الاديب

تطلب من المكاتب التالية

★

بيروت	من	دار الصحافة والنشر
صيدا	«	السيد يوسف الجيز
النبطية	«	مكتبة الشباب لصاحبها السيد معين جابر
صور	«	السيد محمد سعيد البلاغي
مرجعيون	«	السيد جميل ماضي
طرابلس	«	مكتبة زبليط ومن عموم الباعة
زغرتا	«	السيد فؤاد الحاج
حلبا	«	السيد عبدالله محفوض
زحله	«	السيد جوزيف فرحات بطران
عاليه	«	السيد نجيب سليمان
بعلبك	«	السيد علي الاحمر
دمشق	«	السيد عباس الروماني وعموم الباعة والمكاتب
حماه	«	مكتبة السيد عبد الحميد طباع
حمص	«	« السيد عبد السلام السباعي « السيد توفيق الشامي
اللاذقية	«	« السيد حنا نصره « عكاظ العلمية لصاحبها السيد احمد خالد منزلجي
طرطوس	«	« الاستاذ صالح علي
حلب	«	« السيد جان رزق‌الله كردي
الباب	«	« الشهباء للسيد محمد سعيد المكتبي
دير الزور	«	السيد صالح السيد
العراق	«	المكتبة العصرية لصاحبها السيد محمود حلمي ومن عموم المكاتب والباعة
فلسطين	«	شركة فرج‌الله للصحافة وعموم المكاتب والباعة
مصر	«	مكتبة النهضة المصرية وعموم المكاتب والباعة
البرازيل	«	الاستاذ توفيق ضعون سان باولو ص. ب ٧٣١

•

وهي تباع : في سوريا ولبنان بليرة ل. س. في العراق بـ ١٠٠ فلس ، في فلسطين بـ ١٠٠ مل ، وفي مصر والسودان بـ ١٠٠ مليم

لغة اجنبية اكثر من اتقانها اللغة القومية او ان تعلم تاريخ وجغرافية بلاد اجنبية على حساب تاريخ وجغرافية البلاد التي ينتمي اليها الطلبة ، او ان تلقنهم دروساً مدنية تمس كرامة البلاد وتتنافى مع روحها او ان تبث فيهم من الدعايات الحزبية والطائفية ما يودي الى الشقاق والتفرقة كل هذا وغيره من الامور الجوهرية يجب ان يخضع للرقابة الدقيقة اذا نحن اردنا ان نخلق في البلاد شيئاً متحد الكلمة قادراً على الاتفاق والتفاهم والتضامن .

ولا بد للمربين وقادة الفكر الذين ينـاط بهم رسم الخطط التربوية المستقبل من ان يضعوا نصب عيونهم الحقيقتين التاليتين :

الحقيقة الاولى هي ان من اهم العناصر التي تتكون منهـا القومية في الشعوب والامم هو عنصر الثقافة المشتركة اعني بذلك ما يشترك فيه افراد الشعب الواحد او الامة الواحـدة من الآلام والآمال ، العادات والتقاليد ، الذكريات والمقدسات ، الاهداف والمثل العليا . وبقدر ما يكون هذا العنصر الثقافي راسخاً في النفوس مستولياً على مجرى الحياة بذاك القدر يكون الشعب موحداً متراصاً . واذا كانت لغتنا القومية بالاضافة الى ثقافتنا المشتركة — من اهم مقومات القومية ايضاً فليس ذلك لمجرد كونها اداة للتخاطب والتفاهم بين الافراد والجماعات بل لانها الجسم الذي تأوي اليه روح الثقافة المشتركة .

والحقيقة الثانية هي ان هذا العنصر الثقافي انما هو وليد التربية وصنيعة التعليم . هذه حقيقة راهنة لا جدال فيها ، قد اثبتها تاريخ التربية في العصور الحديثة ، وسارت عليها الدول منذ ان دبت فيها روح القوميات الجديدة . فالتربية القومية ، اذا احسن تنظيمها ووُحدت اهدافها ، واصلحت مناهجها ، واتقنت اساليبهـا واحكمت ادارة شؤونها ، هي الكفيلة بخلق شعب موحد النزعات ، متراص البنيـان لا تقوى على تفرقته صروف الدهر وحدثان الزمان .

لقد اصبحت التربية عند اهل الغرب ديناً يدينون به . فما هو موقفنا بازائها نحن ابناء هذه البلاد ؟ اذا صح لنا القول بان حب الوطن من الايمان أفلا يجدر بنا ايضاً ان نتخذ شعاراً لنا : « العناية بالتربية من الايمان ؟ »

جورج شهلا

راقصـــة البوليرو

طالع الناس فيك بدر السماء   وفتون الاصبـاح والامساء
لك دل الغصون باكرها الغيـ   ـث فماست من نشوة الخيلاء
تتهادين مثلمـا يتهادى الـ   ـطيف وهناً في المقلة الكحلاء
انت حلم الشباب يعبق بالطيـ   ـب ودنيـا تموج بالاضواء

حمد الناس رقصةً لك جلّت   وتسامت عن مدحة وثنـاء
كنتَ فيها اشهى من الامل الحلـ   ـو وأبهى من روضة غنّاء
لستُ ادري وقد اتيت جليلًا   أي نار أججت في الاحشاء
وكأني أرى الطبيعة في جفـ   ـنيك ماست بالحلة الخضراء
للهوى لوعة الذبيح بعينيـ   ـك ووجد الصادي لنغبة ماء
تتلوين كلما عصف الشو   ق بنـار كالحية الرقطاء
ففتنت الورى بكل طريف   من ضروب الاغواء والاغراء
كنت حينـاً كريشة تترامى   في مهب الرياح بالظلمـاء
وفريق يراك عـاصفة هو   جاء تطوي مطارف الجوزاء
واذ رقت اللحون ومجت   غمغمات الابواق من اعيـاء
سرت سير المنهوك يقعده الجهـ   ـد وتحدو به طيوف الرجاء
كلما همّ بالمسير ثنته   عن مراد مرارة الادواء
فترامى على الثرى كنزيف   صرعته حرافة الصهباء

أي شيء ابقيت للشعراء   جلّ هذا الاحسان عن اطراء
يا سماء الاحسان في كل عين   كيف يوفي المديح حق السماء
عجز النطق ان يفي ببيـان   عن خفايا هواجس الاهواء
واصبت المعنى الدقيق من النفـ   ـس بوحي الايمـاء والاغواء
كم معـان للناظرين تبدت   وتراءت في فتنة الاعضاء
هجت ميت الهوى وايقظت وجداً   مستكناً بالدمعة الخرساء
ورسمت الاهواء في خفقة الصد   ر وخافي الاحلام بالايمـاء
وبوحي العينين حققت نعتـاً   لمعـان عويصة في الاداء

طالع الناس فيك بدر السماء   وفتون الاصبـاح والامساء

دمشق   عدنان مردم بك

العلاقة بين الفلسفة والدين

بقلم الاب يوسف الحكيم
ليسانسيه في الفلسفة

قد رأينا في بحثنا السابق ان لا علاقة بين الفلسفة والدين عند البرهانيين المتشبثين بوحدانية الحقيقة[1] التي فيها يمتزج الطبيعي بما فوق الطبيعة وبالتالي يمتنع وجود حقيقة دينية متميزة عن حقيقة فلسفية. وسنرى الآن، في بحثنا هذا، ما اذا كان لهذه العلاقة من اثر عند التوماويين.

لا بد لنا في هذه القضية، كما في اغلب القضايا، من الاستناد الى مقررات[2] مسلّم بها عند الكثيرين من فطاحل الفلاسفة.

كل افراط او تفريط، في اية قضية كانت، يؤدي حتماً الى الضلال. وكل ضلال فلسفي يؤدي الى ضلال ديني. وقد اختبرنا ذلك بالفعل عند نصف البرهانيين والبرهانيين الذين عظموا العقل وألهوه — فضلّوا بالافراط — وعند الايمانيين الذين حطوا من قيمة العقل وحقّروه — فضلوا بالتفريط —. الفضيلة في الوسط والحقيقة بين هذين الاثنين أي انه يمكن للفلسفة ان تتطلع الى الدين وتظل محتفظة بطابعها الخاص كما سنرى.

١ — الفلسفة تقود الى الدين : لا يمكن الانسان العاقل ان يسلم بشيء ما لم يفقه اولاً ضرورة التسليم بذلك الشيء. وضرورة التسليم بالدين يدركها الانسان بقوة بواعث مختلفة اهمها : اولاً «عن طريق العقل» الفاصل الذي يميز الانسان من الحيوان انما هو العقل. لذلك يحدد الفلاسفة الانسان «بحيوان عاقل» بنوع انه اذا حذفنا كلمة «عاقل» لم يبق سوى «حيوان». فالعقل اذاً اعظم واشرف شيء عند الانسان. من خصائص هذا العقل التفكير وادراك الاسباب الاخيرة بارتقائه من «المعلول الى العلة»، من «الباطل الى الحق»، من «الموضوع الى الغاية».

قلنا اولاً «من المعلول الى العلة» عندما يتفرس الانسان بكل ما في هذا الكون من المخلوقات، على مختلف انواعها، لا بد له من ان يتساءل عن كيفية وجودها أي هل وجدت صدفة، هل اوجدت ذاتها بذاتها أم هل اوجدها كائن فريد عجيب مجهول بعد لدينا. ليست الكائنات متحدرة عن حادث صدفة لان الصدفة وهم لا اساس له. والحقيقة اننا اعتدنا ان نسمي صدفة ذلك الشيء الذي نجهل سببه. وبحسب المبدأ المقرر «لا معلول بدون علة» لا يبقى مجال للصدفة هذا هو اليوم رأي الفلاسفة المعوّل عليهم. وليست الكائنات متحدرة عن بعضها في سلم لا ابتداء له ولا انتهاء لانه اذا لم نحصل على الاول فلا نحصل على الثاني ولا على الثالث ولا علينا نحن ايضاً، الامر الذي يضاد الاختبار هذا فضلاً عن انه استناداً الى هذين المبدأين «لا احد يعطي ما لا يملك» و«طبيعة الكل كطبيعة اجزائه» يتضح ان كل الكائنات العرضية الوجود متغيرة ناقصة وبالتالي يتعذر عليها ان تعطي شيئاً كاملاً بكمال مطلق «اللانهاية». فاذا كان سبب وجود الكائنات ينحصر في احد الافتراضات التي ذكرناها ولم نجده لا في الاول ولا في الثاني لم يبق لنا الآن الا ان نقر بوجود كائن فريد عجيب نسميه «العلة الاولى» او «الله» فهو سبب كل الكائنات ولا سبب له.

قلنا ثانياً «من الباطل الى الحق» يعترض الانسان في اقتباس معارفه صعوبات شتى من شأنها ان تضلله وتبعده عن الطريق المستقيم طريق الهدى والحق. ولكن هذا المشعال الطفيف الذي يحمله، مشعال عقله النير، فمها هو عليه من الضعف يمكنه ان يرى على نوره الضئيل الحقائق التي تتطلبها طبيعته الناطقة مذللاً كل الحواجز التي تقف سداً امامه لتعيقه عن الوصول الى هذه المعرفة الصحيحة. وعندما يرى الانسان في النور ولا يرى في الظلمة يستنتج انه يمتنع

(١) لان العلاقة تكون بين اثنين فاكثر.

(٢) ان هذه المقررات تقتضي درساً خصوصياً لا نتعرض هنا له بل نفترضه.

وجود النور والظلمة ، الحق والباطل ، الكامل والناقص ، الصادق والكاذب ، الحي والميت ، العلة والمعلول في الوقت ذاته والكيفية ذاتها . ولما كانت العلة الاولى « كلية الكمال » – والا لما كانت اولى – فهي النور والحق والصدق والحياة . وعلينا ان نستنير بنورها ونسير في طرقها ونصدق اقوالها ونحيا بها .

وقلنا ثالثاً « من الموضوع الى الغاية » يتطلع الانسان حواليه فيرى ان كل الكائنات ، مخيّرة كانت ام مسيرة ، تفعل لغاية . يرجع وينعكف على ذاته فيرى انه متميز عن سائر الكائنات بنفسه الروحية والروح بسيطة غير مركبة والغير المركب لا ينحل خالد من طبيعته . فيتساءل عندئذ عما عساها تكون غاية تلك النفس . وحتى يجد الجواب ليس عليه سوى ان يختلي عميقاً في نفسه فيرى ان العلة الاولى « الكلية الكمال » لا يمكنها ان تتوخى في كل عمل من اعمالها غاية اولية خارجة عنها لانها تصبح آنئذ ناقصة لافتقارها الى تلك الغاية . فهي نفسها غاية لكل افعالها . ويرى ان كل الموجودات تتبع هذه الغاية كل حسب طبعه . والانسان العاقل الحر يتبع هذه الغاية بحسب طبيعته ايضاً اي انه مسؤول عن اعماله لانه عاقل ومخيّر في تصرفاته لانه حر . والمسؤولية تفترض تتميم الواجب او عدمه وتتميم الواجب او عدمه يفترض الخير والشر والخير والشر يفترضان المكافأة او المجازاة وكون الروح خالدة فالعقاب والثواب اللذان هما تابعان ملازمان لها خالدان ايضاً .

ثانياً : عن طريق القلب : بقولنا ان العقل اشرف ما في الانسان لا نحط من شرف سائر القوى الكائنة فينا . واذا كان الانسان يفكر فهو بالاولى يشعر ويحب . لا بل يمكن احياناً – في الحقل العملي – ان نفضل القلب على العقل كونه هو الذي يدفعه الى البحث والتفكير ولولاه اظل خاملاً متلهياً بامور تافهة . ولا ننس ان كل قوى الانسان تتعاون في اصدار كل فعل من افعاله وانه يجب علينا ، اذا اردنا ان تكون ابحاثنا صائبة ، ان نعطي كل ذي حق حقه من هذا الموكب الانساني اي ان نحترم اتزانه بالمحافظة الدقيقة على النظام الواجب اتباعه عند استعمال قواه المختلفة . ومن هنا يتضح جلياً للفيلسوف ضرورة الالتجاء الى كل ما عنده من القوى حتى يكون تفكيره مجدياً . واذا كان العقل يقود الى الدين ولكن بواسطة العطش واليأس . العطش الى الحب واليأس من الحب الباطل . متى ذكرنا القلب فهمنا حالاً المحبة التي هي صفة ملازمة له . والمحبة للقلب كالجناح للطائر فكما انه لا طائر بدون جناح لا قلب بدون محبة . ولكن السر كل السر في انتقاء موضوع هذه المحبة واغلب الناس ، اسوء الحظ ، يضلون السبيل باتباعهم في محبتهم موضوعاً غير اهل لها . يتعطشون الى الحب ويظنون انهم يروون غليلهم باندفاعهم وراء مواضيع باطلة . ولكنهم يزدادون عطشاً وييأسون . عندئذ يرجعون الى نفوسهم فيترفعون عن الخسائس ويصرخون مع الملفان اغسطينوس : « يارب خلقت هذا القلب لاجلك ولا يزال قلقاً مضطرباً حتى يرتاح فيك » فالله وحده اذاً يملأ فراغ هذا القلب الذي خلقه له « يا بني اعطني قلبك » وبالتالي عبثاً يحاول الانسان ان يشبع من حطام هذه الدنيا الغرور . وهكذا فالقلب نار يلتهم لهيبها كل ما به دنس حتى يستقر اخيراً في الطهارة الكاملة التي لا عيب فيها .

٢ً – الدين ينير الفلسفة : اذا كانت الفلسفة تقود الى الدين فالدين بدوره ينير الفلسفة ولا خوف عليها من هذا النور الذي يضيء ولا يبهر . قلنا يضيء لان الانسان مهما سما بمعارفه فلا يزال ضعيفاً عرضة للضلالة فأحر به ، ابان تفكيره في حل مشاكله ، ان يتفرس ، من وقت الى آخر ، بنور الدين فيرى على ضوئه حقائق قلما يصل اليها بدونه لانه وحده لا يجدها الا بعد الجهد الجهيد وفيها شيء من التشويه . اهم هذه الحقائق هي الخلق والخلق عن حرية والخلق من العدم والعناية وخلود النفس ومسؤوليتها عن اعمالها . وقلنا لا يبهر لانه يمكن للفيلسوف ان يتطلع الى حقائق الدين ويظل متابعاً سيره في حقله الخاص (١) . فتطلعه هذا لا يفقده قوة البحث والتفكير بل بالعكس يفتح له آفاقاً جديدة للتأمل والتبصر والانعكاس . بماذا نشبه الفلسفة بالنسبة الى الدين ؟ تشبه قبطاناً يدير سفينته ولكن يتطلع من وقت الى وقت الى « الابرة المغناطيسية » او الى « المنارة » كيلا يضل السبيل . فالقبطان يدير السفينة بقطع النظر عن الابرة والمنارة ولكن بحسب تعليماتها . من هنا نلمس امكانية الوفاق بين الفلسفة والدين . هما حقلان مختلفان طبعاً ولكنهما يتعاونان لادراك غاية واحدة . الفلسفة تقود الى الدين والدين ينير الفلسفة والغاية من الاثنين واحدة ونجدها في الدين (٢) الذي يسمو عن الفلسفة درجة ومقاماً . ومن هنا ايضاً نعلم ان النظام الفائق الطبيعة لا يهدم النظام الطبيعي بل يكمله والنظام الطبيعي لا معنى له مستقلاً عن النظام الفائق الطبيعة لانه يفترضه .

جونية — يوسف الحكيم

(1) G. J. Maritain, Science et Sagesse, 1935, p. 123 - 228

(2) S. T. 11 - 11, q. 1, a. 4 et 5

من فنون الطب عند الاقدمين

الاطباء الجوالون – اطباء السجون – نوبة الاطباء في المستشفيات – معامل ومختبرات الادوية – المستشفيات النقالة – استخراج الادوية من بعض اعضاء الحيوانات – التجارب في السمك – تشريح القرود للدرس والتطبيقات العلمية – تشريح لمعرفة اسباب الخوارق الطبيعية – تشريح الجثث للدرس – الزجاجات الشائكة للادوية السامة

بقلم نور الدين بيهم
امين المخطوطات بدار الكتب اللبنانية

الاطباء الجوالون

كان ابو سعيد سنان بن ثابت بن قرة في خدمة المقتدر بالله والقاهر بالله والراضي بالله . اقترح يوماً على الخليفة القاهر بالله بانفاذ متطببين وخزانة للادوية والاشربة يطوفون في المرضى فأمر الخليفة بقبول اقتراحه قائلاً له : فكرت في من في السواد من اهله فانه لا يخلو ان يكون فيه مرضى لا يشرف عليهم متطبب لخلو السواد من الاطباء. فتقدم بانفاذ متطببين وخزانة للادوية والاشربة يطوفون في السواد ويقيمون في كل صقع منه مدة ما تدعو الحاجة اليه ويعالجون من فيه من المرضى ثم ينتقلون الى غيره من الاصقاع(١) .

اطباء السجون

قال ثابت بن سنان في تاريخه : « اذكر وقد وقع الوزير علي ابن عيسى بن الجراح الى والدي سنان بن ثابت في ايام تقلده الدواوين من قبل المقتدر بالله وتدبير المملكة في ايام وزارة حامد بن العباس في سنة كثرت فيها الامراض جداً وكان والدي اذ ذاك يتقلد البيمارستانات ببغداد وغيرها توقيعاً يقول فيه : فكرت في امر من في الحبوس وانه لا يخلو مع كثرة عددهم وجفاء اماكنهم ان تنالهم الامراض . فينبغي ان تفرد لهم اطباء يدخلون اليهم في كل يوم وتحمل اليهم الادوية والاشربة ويطوفون في سائر الحبوس ويعالجون فيها المرضى ويزيحون عللهم فيما يحتاجون اليه من كل شيء(٢) .

نوبة الاطباء في المستشفيات

كان جبرائيل بن عبيد الله بن بختيشوع فاضلاً عالماً متقناً لصناعة الطب وكان اجداده في هذه الصناعة .

وكان ابن بختيشوع هذا يتناول راتباً من عضد الدولة ثم ولاه بيمارستاناً في بغداد وخصص له راتباً ثانياً عدا عما كان يأخذه من الارزاق والعطايا والهدايا .

وكانت نوبة الطبيب جبرائيل بن بختيشوع في بيمارستان بغداد في الاسبوع يومين وليلتين(٣) .

معامل ومختبرات الادوية

الطبيب احمد بن يونس بن احمد الحراني خدم المستنصر بالله وغزا معه غزواته سنة احدى وخمسين وثلثمائة واسكنه المستنصر في قصره بمدينة الزهراء .

قال ابن جلجل(٤) للطبيب احمد بن يونس بن احمد الحراني اثنا عشر صبياً صقالبة طباخون للاشربة صناعون للمعجونات بين يديه وكان قد استأذن امير المؤمنين المستنصر ان يعطي منها من احتاج من المساكين والمرضى فأباح له ذلك . وكان يداوي العين مداواة نفيسة وله بقرطبة آثار في ذلك . وكان يواسي بعلمه صديقه وجاره والمساكين والضعفاء. وولاه هشام المؤيد بالله خطة الشرطة وخطة السوق ومات بحمى الربع وخلف ما قيمته ازيد من مائة الف دينار(٥) .

---

(١) ابن ابي اصيبعة ج ١ ص ٢٢١

(٢) طبقات الاطباء ج ١ ص ٢٢١ المطبعة الوهبية ١٢٩٩ هـ

(٣) عيون الانباء في طبقات الاطباء ج ١ ص ١٤٥

(٤) لعله يريد سليمان بن حسان ابو داود

(٥) طبقات الاطباء ج ٢ ص ٤٢ المطبعة الوهبية

المستشفيات النقالة

ابو الحكم عبيد الله بن المظفر الحكيم الاديب المعروف بالمغربي اصله من اهل المرية بالاندلس ومولده ببلاد اليمن . ذكر ابو شجاع الفرضي في تاريخ جمعه ان ابا الحكم المذكور قدم بغداد واقام بها مدة وانه كان ذا معرفة بالادب والطب . وذكر العماد الاصبهاني ان ابا الحكم المذكور كان طبيب البيمارستان الذي كان يحمله اربعون جملا المستصحب في معسكر السلطان محمود السلجوقي حيث خيم . وكان المديد ابو الوفاء يحيى بن سعيد ابن يحيي المظفر الذي صار قاضي القضاة ببغداد في ايام الامام المقتفي فاصداً وطبيباً في هذا البيمارستان النقال(٦).

استخراج الادوية من بعض اعضاء الحيوانات

وكانوا يأخذون من بعض الحيوانات غددها او غير اعضاء منها ويستخرجون منها ادوية يطببون بها مرضاهم ويوجد من ذلك كثير في كتب الطب وكتب حياة الحيوان تحت كلمة خواص(٧).

وارجو المعذرة اذا اوردت هذه النبذة الصغيرة لاثبات ما انا كاتبه هنا .

قال الطبيب حامد بن سمجون عن السمور ما حرفيته : « هو حيوان يكون في بحر الروم ولا يحتاج منه الا خصاه فيخرج الحيوان من البحر الى البر فيؤخذ وتقطع خصاه ثم يطلق سراحه فيرجع الى البحر فاذا اتى الموسم الثاني لصيد السمور واتى الصيادون لصيده واحس بهم خشي ان يصطادوه مرة ثانية فيستلقي على ظهره ويوسع ما بين رجليه ليري الصيادين ان موضع خصيتيه خال . فاذا رآه الصيادون كذلك تركوه(٨).

وقال ابن غالب ان السمور او الجند باستر حيوان ذكي وعنده قوة مميزة ويصنع من خصيتيه الادوية الرفيعة ومنافعه كثيرة ويورد ايضاً القصة المذكورة اعلاه(٩).

التجارب في السمك

عرف عن العرب اعتناؤهم الكثير بالتجارب في الحيوانات لابحاثهم الطبية واما تجاربهم في الاسماك فقليلة ولهذا نورد هذه النبذة لنثبت انه ما فاتهم هذا البحث ولا غفلوا عن هذه التجارب وهو ان الطبيب ابراهيم بن فزارون كان طبيباً مذكوراً في زمانه واختص بصحبة غسان بن عباد وخرج معه الى بلاد السند فذكر ابراهيم الطبيب ان في النهر المعروف بمهران بارض السند سمكة اذا انتزع قسم كبير من لحمها وارجعت الى الماء نمي لحمها بعد مدة ورجع الى ما كان عليه . فاراد غسان بن عباد ان يتحقق ذلك وامر طبيبه ابراهيم بن فزارون ان يصنع تجارب بهذه الاسماك وحفر بركة في داره ووضعوا السمك فيها وقطعوا من لحمها وما مضت مدة حتى عاد اللحم الى حالته الاولى . واما ما كان يكسر عظمه فانه كان يموت(١٠).

تشريح القرود للدرس والتطبيقات العلمية

جاء في عيون الانباء في طبقات الاطباء ان يوسف بن ابراهيم(١١) روى الحادث الطريف التالي :

قدم جرجة بن زكريا ملك النوبة سنة ٢٢١ هـ الى سر من رأى واهدى الى المعتصم هدايا فيها قردة . فارسل الخليفة المعتصم الى ابن ماسويه الطبيب رسولاً ومعه قرد من القرود التي اهداها ملك النوبة لا اذكر اني رأيت اكبر منه جثة وقال له يقول لك امير المؤمنين زوّج هذا القرد من قردتك « حماحم » وكان لابن ماسويه قردة يسميها حماحم كان لا يصبر عنها ساعة فوجم لذلك وقال للرسول قل لامير المؤمنين اتخاذي لهذه القردة غير ما يتوهمه وما غايتي من تربيتها الا لتشريحها ودرس عروقها واورادها واعصابها واعضائها ولاضع بذلك كتاباً واما اذ قد وافى هذا القرد فسيعلم امير المؤمنين اني سأضع له كتاباً لم يوضع في الاسلام مثله ثم فعل ذلك بالقرد فظهر له منه كتاب حسن استحسنه اعداؤه فضلاً عن اصدقائه(١٢).

وذكر الوزير جمال الدين الاشرف المعروف بابن القفطي المتوفي ٦٤٦ في كتابه اخبار العلماء باخبار الحكماء اشياء وحوادث تثبت معرفتهم بتشريح القرود للعلم والاختبار(١٣).

(٦) ابن خلكان وفيات الاعيان ج١ ص ٣٤٤

(٧) معجم الادباء لياقوت من مطبوعات دار المأمون ج ٦ ص ١٦٦

(٨) نفح الطيب للمقري المطبعة الازهرية ١٣٠٢ ج ١ ص ٩٢

(٩) طبائع الحيوان وخواصه ومنافع النبات ومضاره حاجي خليفة ج ٣ ص ١٢١

(١٠) ابن القفطي ص ٥٣ — ٥٤

(١١) لعله اراد يوسف بن ابراهيم مولى ابراهيم بن المهدي ابو الحسن الحاسب المعروف بابن الدايه

(١٢) عيون الانباء في طبقات الاطباء المطبعة الوهبية ١٨٨٢ ج١ ص١٧٨

(١٣) اخبار العلماء باخبار الحكماء ص ٢٥٥

تشريح لمعرفة اسباب الخوارق الطبيعية

لما خرج شبيب بن يزيد بن نعيم الخارجي بالموصل بعث اليه الحجاج قائداً فقتله ثم قائداً فقتله كذلك حتى اتى على خمسة قواد قتلهم وهزم جيوشهم وكان احد القواد موسى بن طلحة بن عبيدالله ثم خرج شبيب من الموصل يريد الكوفة وخرج الحجاج من البصرة يريد الكوفة فطمع شبيب ان يلقى الحجاج قبل ان يصل الى الكوفة فاقحم الحجاج خيله فدخل الكوفة قبله ومرّ شبيب بعتّاب بن ورقاء فقتله ومرّ بعبد الرحمن بن محمد بن الاشعث فهرب منه وقدم شبيب الكوفة وآلى ألا يبرح عنها او يلقى الحجاج فيقتله او يُقتل دونه، فخرج الحجاج اليه في خيله، فلما قرب منه عمد الى سلاحه فألبسه ابا الورد مولاه وحمله على الدابة التي كان عليها، فلما تواقفا قال شبيب: اروني الحجاج، فأومأوا له الى ابي الورد فحمل عليه فقتله ثم خرج من الكوفة يريد الاهواز(١٤).

وكان شبيب من جبابرة العرب واشد رجالاتها وكان يصيح في جنبات الجيش وكان الجيش عند سماعه لا يلوي احد على أحد. وقالوا ان صاح حسبت الصخر منحدراً والريح عاصفة والموج يلتطم.

ولما قُتل شبيب شُق صدره فاذا له فؤاد كبير وكانوا اذا ضربوا به الارض ينزو كما تنزو المثانة المنفوخة(١٥) واختلف المؤرخون في موته ويُسمى شبيب الحروري.

تشريح الجثث للدرس

قال يوحنا بن ماسويه اني بليت بطول الوجه وارتفاع قحف الرأس وعرض الجبين وزرقة العين ورزقت ذكاء وحفظاً لكل ما يدور في مسامعي. وكانت ابنة الطيفوري زوجتي احسن انثى رأيتها وسمعت بها الا انها كانت ورهاء بلهاء لا تعقل ما تقول ولا تفهم ما يقال فتقبل ابننا مسامجها جميعاً ولم يرزق شيئاً من محاسننا ولولا كثرة فضول السلطان ودخوله فما لا يعنيه لشرحت ابني ذا حياً فكنت اعرف بتشريحه الاسباب التي كانت لها بلادته واريح الدنيا من خلقته واكسب الناس بما اضع في كتابي من صنعة تركيب بدنه ومجاري عروقه واوراده واعصابه ولكن السلطان يمنع من ذلك.

واتفق ان اعتل ابنه بعد الحديث المتقدم بليال قلائل فرأى والده ان يفصده ورأى جده ان لا وجوب للفصد ففصده والده يوحنا فمات ابنه في اليوم الثالث من بعد فصده.

فكان جده وولداه يحلفون بالله في جنازته ان والده تعمد قتله ويستدلون بما قاله آنفاً في منزل هارون بن اسماعيل(١٦)

الزجاجات الشائكة للادوية السامة

كثيراً ما يوصف للمريض ادوية فيها بعض سموم او ادوية تؤخذ بعدد محدد من النقط مع علاجات يتناولها المريض في اوقات معينة.

وكثيراً ما يغلط المريض واهله باستعمال الدواء السام بدلاً من العلاج العادي فينشأ عن ذلك الخطأ اضرار جمة تذهب احياناً بحياة المريض.

والاقدمون تجنباً من الوقوع في اخطاء خطرة كهذه جعلوا لزجاجات الادوية السامة فوهات ضيقة جداً تنزل منها السموم او نقط الدواء بكميات قليلة وجعلوا لاجسام هذه الزجاجات اشواكاً زجاجية حتى اذا تناولها المريض او اهله انتبهوا حالاً من هذه الاشواك ان الدواء سام او انه يجب استعماله بالنقط(١٧).

وهكذا لا يقع خطأ في تركيب الدواء كما نشاهد منه الكثير في هذه الايام.

نور الدين بيهم

(١٤) عيون الاخبار لابن قتيبة الدينوري المتوفي ٢٧٦ ه ج ١ ص ١٢١ و ١٧٢

(١٥) العقد الفريد المطبعة الجمالية ج ١ ص ٦١

(١٦) اخبار العلماء للوزير جمال الدين ابن القفطي المتوفي ٦٤٦ ص٢٥٥ – ٢٥٦ مطبعة السعادة

(١٧) في مجموعتنا الاثرية الخاصة اربع زجاجات عربية من هذه الزجاجات.

الى الموسيقى...

بقلم حسن زكريا

كنت استمع الليلة الى بعض الموسيقى الغربية (الكلاسيك) ، كانت تعزفها احدى الجوقات من بلد نا، ، فتمرق الانغـام في الفضاء على اجنحة الاثير ، فتتلقفهـا مصائد الجو ثم تنساب متعاقبة حالمة في الاسلاك ، فيحتضنها الراديو في حناياه ، فيوقظها الحبس من غفوتها الحالمة ، فتضيق بالقيد وتضج بالشكوى والانين .

لست ادري ما الذي يسحرني في الموسيقى ، هذه الموسيقى وامثالها ، فيجعلني انجذب اليهـا انجذاب العاشق الطرب . اني لاسمعها ساعة او بعض ساعة ، فاخلص منها كما يخلص المستحم من الحمام : نقي الذهن فيـاض العاطفة مرهف الوجدان . لقد يبلغ تأثير الموسيقى في نفسي درجة يخيل لي معهـا ان في نفسي دنانا مختومة من الخمر المعتقة ، حتى اذا امتلأت اعصابي بالالحان ، خلت كأنها – كأن الموسيقى – تغير على تلك الدنان وتكسرها في هجوم عنيف نشوان ، فتنساب الخمور المحبوسة كأعذب ما تكون واسطع ، وتنطلق دفاقة في ارجاء نفسي ، توقظ الراقد من عواطفي وتثير الساكن من ذكرياتي فتجعلني اجن من النشوة والطرب .

ان الموسيقى لتبعث في نفس سامعها حيـاة جديدة ، او على الاقل – ما دمت اتكلم عن نفسي – تبعث فيّ حياة جديدة . ان ساعة في السماع تعني في نظري ولادة جديدة . انها تغسل النفس من الادران ، ادران البغض واللؤم ومـا اليها من اغبرة الحياة الكسيحة ، وتنشر فيها جواً معطراً ملؤه اللطف وملؤه الحب .

اجمل ساعات الموسيقى واقساها على الشعور ، اقول اقساها ، لفرط ما تسكب من اللذة المركزة عليه ، هي ساعة يخامرك فيها حنين الى المجهول ، تلك الساعة هي الاوج الذي مـا بعده اوج ، حيث تتخدر احاسيسك كلها وتغفو في سكرة حالمة حلوة ، فلا يتخلف منها الا احساس واحد ، لا يزال يطغى ويفيض على جوانب نفسك حتى يغمرها . انه احساس مؤلم ولذيذ في آن واحـد . يداعبك باليد الواحدة ويعصرك انفعـالا باليد الاخرى ، ذلك هو الاحساس بالحنين الى اشياء مبهمة ، الحنين الى عوالم خرافية مغرقة في الطلاسم ، يرسمها لك خيالك من غير تفصيل فتنجذب اليها بحال من احوال النفس لست ادري ما اقول في الافصاح عنه ، واواه لو كنت ادري !

ان الموسيقى هي الشيء الذي يكاد يكون كله خيراً وطهراً . وعلام يكاد ؟ انها الطهر والخير والنبل بذاتها . انها ذات وجه واحد وجوهر واحـد على الدوام ، وهي لا تستطيع ان تبعث في نفسك ، فيما اذا عرفت كيف تفتح لها ابواب قلبك ، الا الخير والطهر والصفاء ، لكأنها في ذلك عمود من شعاع الفجر او بسمة من فم طفل جميل او نجوى عذراء متهللة الحسن .

لقد اتت علي ساعات كنت مغموراً فيها بتوافه الحياة وترهاتها ، حتى اذا ما استمعت الى الموسيقى ، تنبهت بغتة الى ان في الحياة ما يسمو على تلك التوافه والترهات التي تبلد الشعور وتسف بالفكر الى الحضيض . كما اتت علي ساعات كنت فيهـا برماً بالحياة ، بذلك النمط من الحيـاة الرتيبة التافهة الممسوخة من التكرار ، فلا تبعث في نفسي غير السأم والملل والتشاؤم والافكار السود ، مما يحدو بي الى اؤمن بان ليس ثمة منشيء يستحق ان يحيا الانسان لاجله ، ولكن وقد تهيـأت لي فرصة الاستماع الى الموسيقى ، سرعان ما انقلب الى الضد من ذلك ، فأوقن ان في الحياة كثيراً مما يستحق ان يحيا الانسان لاجله ، وينقلب ذلك التبرم رضى والسأم ابتهاجاً والملل راحة والافكار السود بيضاً طروبة مشجعة .

انك لا تستطيع ان تتابع الموسيقى ، تتابع انغامهـا المتباينة المتآلفة وايقاعاتها الدقيقة الناعمة ، ولا تستطيع ان تحتضن ما تشير لك اليه من معنى او توقظ لك في نفسك من عاطفة او انفعال ، لا تستطيع ذلك كله وتتفرغ له على اكمل هيئة او حـال ، اذا انت لم تستمع الى الموسيقى وانت مغمض العينين او فاتحهما ولكن . . في ظلام .

وقد يبدو في هذا الرأي مظهر من شذوذ او غرابة . ولكن هذا هو الذي خبرته ومحصته بنفسي . فانا عندما استمع وعيناي مفتوحتان ، تظل عيناي ، على عفو العادة ، تلاحق هذا الشيء او ذاك ، وذلك المشهد او هذا . فينصرف ذهني بخفية بارعة عما تريد ان ينصرف اليـه اذناي ، وتشارك عينيّ في الاستئثار بالذهن الاذنان . ومع هذا فقد يضيف النظر لذة السمع اذا ازدوج معه كأن يسرح النظر في منظر طبيعي جميـل ، او مشهد فني رائع

للشاعر الانكليزي «شلي» — ترجمة : مرتضى شرارة — بغداد

الموسيقى

• تتوق نفسي الى الموسيقى السماوية
فقلبي الظامىء اشبه ما يكون بزهرة ذابلة
يسكب الالحان كالخمر السحري
ويبعث الانغام الفضية كرجع الناي الشاعر
انه يتنهد ويتأوه !
كما يتنهد الروض الظامىء الى قطرات المطر الخفيفة .

• دعني أعب من روح تلك الانغام العذبة
دعني أعب ، فانني ما زلت ظامئاً !
انها تفك تلك الافعى التي لفها الغم حول قلبي لتخنقه !
وتجعل اللحن المذاب في كل عرق من عروقي
يجري في قلبي وفي عقلي !!

• مثلما يتلاشى شذا البنفسجة
التي تنمو على ضفة بحيرة فضية
عندما يجفف شعاع الهاجرة كأسها الندي
وما من طل يروي ظمأها
فتنحني ميتة !!
بينما يكون العبير قد طار ...
على اجنحة الهواء فوق المياه الزرقاء !

• كذلك من يشرب كأساً سحرياً
يعلوه الحباب ، والمدامه- التي تشبه شعاع النجوم
تمتمة خافتة !
كذلك من افعمت قلبه غانية فاتنة
واغرته بالحب !.. بقبلتها ..
بقبلتها السماوية !...

فيجد الانسان فيما يرى تعبيراً او تفسيراً لما يسمع ، وينكشف له ثمة اتساق بين النغم المسموع وبين المشهد المنظور ، فتكتمل لديه اللذة وتتوضح في ذهنه الصورة والمعنى . ولكن هذا لا يكون الا على حساب كثير او قليل من فهمك الصحيح للموسيقى ولدقائقها الفنية ومعانيها العميقة .

ان الموسيقى ، اذا ما عدت الفنون الجميلة ، طليعة تلك الفنون وارقاها نمطاً واعمقها معنى واشقها ابداعاً وخلقاً . وان الموسيقيين ، شعراء الموسيقى والملحنين العظام كموزار وبيتهوفن و كوزاكوف وجايكوفسكي وفردي وشوبرت وسائر الزمرة المباركة ، كدت اقول المقدسة ، هؤلاء ، وغير هؤلاء ممن لم اذكر ، اذا ما عد ابطال البشرية اصحاب الرسالات والعبقريات ، طليعة اولئك الابطال واعلاهم جهاداً وأفلقهم موهبة وارجعهم معروفاً بالناس وخدمة لاذواق الناس وعواطف الناس . ان هؤلاء هم اصحاب المجد الصحيح واولى الرجال بالتقدير والاجلال فلم يكن لرسالتهم في الحياة الا وجه واحد فقط ، وجه وضاح بالنور طفاح بالخير والصفاء ، ولم يرح هذا الوجه ولا يمكن ان يوحي الا الخير والصفاء ، وليس ثمة من شيء يقوى على تشويه هـذا الوجه النبيل ، أو توجيه تلك الرسالة الكريمة الى الشر والفساد ، في الحين الذي لم تسلم فيه أية رسالة أخرى من الرسالات ، من يد البغي الآثمة ، فتلقي فيهـا الرجس وتشحذها سلاحاً للشر والعدوان .

ان الموسيقى ، كما يتراءى لي ، لتسمو بالانسان وترفع من أخلاقه وتهذب من طبـاعه وتجعله ألين عريكة وألطف مزاجاً وأرحب صدراً وأكثر استعداداً لعمل الخير . وما دام العالم يسعى نحو الخير ، فان دور الموسيقى في حياة الانسان ، سيتعاظم شيئاً فشيئاً ، ولهـذا سيكون « الانسان المقبل » أشد رغبة للتشرب بالموسيقى وبروح الموسيقى . ان الموسيقى ستضفي ، وقتذاك ، من تناسقها والانسجام الذي يؤلف بين انغامها المختلفة ، انسجاماً على حياته ومدنيته فتمهد له سبيل العمل على أن يقيم مجتمعه من جديد على نسق الجوقة الكبيرة بآلاتها المختلفة واصواتها المتباينة ، ذلك التباين والاختلاف الذي لا يحول دون وحدة اللحن وروعته .

ان مجتمع الغد ، سيعبر في روحه عن روح الجوقة الموسيقية وهي تعزف سيمفونية من السيمفونيات . فكما أن هدف العزف الجوقي الذي هو ابراز لما في القطعة من جمال وروعة وانسجام وفقاً لتأليف معين أو نظام معلوم ، هو الذي يحدد لكل آلة وظيفتها ولكل عازف مهمته ، فكذلك ايضاً ، فان هدف مجتمع الغد الذي هو ابراز لما في فكر الانسان وعمل الانسان من امكانيات مطلقة للابتكار والتقدم وخلق الحياة الحرة السعيدة ، هو الذي يعين لكل فرد من المجتمع المذكور مهمته ، ولكل جهد بشري مكانه وأوانه وفقاً لاسلوب عادل معلوم .

ان الموسيقى لتستجيب مرة عند بعض الناس الى الجانب النير النبيل من انسانيتهم ، وتوقظه أو تستثيره مرة اخرى عند الاناس الاخرين .

فهل لنا بعد ان نتسامى بانسانيتنا بالموسيقى ! ؟

الموصل — حسين زكريا

حـــول قيمنــــــا

بقلم عبد الله عبد الدائم

☆

قيم في الفكر والسلوك تتزعزع ، وأبنيــة للحرمة تتقلص وتنزلق : تلك هي الازمة العصيبة التي عاناها العــالم عامة والعالم العربي خاصة منذ اوائل هذا القرن .

فلقدعصفت على بيدر الافكار والاعمال رياح مختلفة المصادر هزته في اعمق حبيباته وذرتها في فضاء من الحيرة والارتباك :

فهنا العلم باكتشافاته المغرية وبروحه الدهرية ينـادي بنبوته المطلقة ويريد ان يأسر اليه عقول الناس وقلوبهم على السواء ولا يوفر في سبيل غايته هذه غلظة الجبر ولافظاظة الالزام فهو القادر ما دام يستطيع ان يشهر في كل ساعة حججه المادية المحسوسة التي طالما اتخذت مقياساً لكل حقيقة . وهكذا يقذف الى المجتمع معاني التقيد المطلق ويلقي الانسان في حيرة لا مخرج له منهـا اذ يؤكد له ان افكاره واعماله مــا هي الا سلسلة صغيرة جداً من سرمدية لا اول لها ولا منتهى ، وان ما يؤمن به من افكار ما هو الا نتيجة ضرورية لاسباب قد يعلمها وقد لا يعلمها ، وان ما يعمل له من مبادىء وقيم ما هو الاهمسة مخلوق لطيف وخلجة قلب طيب في ابدية لا تعي فتحتضن ولا تقدّر فتجزي .

وهناك التقاليد ، وقد انكسف نورها ، تأتي صاغرة مستكينة كيما تعلن لانسان القرن العشرين افلاسها واملاقها .

وهناك العقل المجرد ، في ضخامة وجلال يخبران عن ماض له مجيد وفي ارتباك وتلعثم ينذران بما هو سائر نحوه من فقد الثقة به ، يأتي فيريد ان يملأ الفراغ ، ولكن قيمه التي يأتي بها لا يلبث ان يشذبها هو نفسه ، اذ من ماهيته ان يرتفع فوق ذاته ، وبهذا لا يستطيع ان يخلع على هذه القيم المؤقتة الصوفية اللازمة لبقائهـا وانتاجها فتثوي في برودة الفرضيات منتظرة من يهدمها .

وبايجـاز وجد الانسان الحديث ، والانسان العربي خاصة ، نفسه وسط انهيار في القيم ونقص في الاعتقاد جعله يهوي بلا قرار ولا يجد لنفسه متكأ ولا سنداً يتشبث به ، بعد ان تحلل من قيمه القديمة فكان شأنه شأن مشلول كان متمتعــاً على الاقل باستقرار الشلل ثم ما لبث ان شفي منه فجأة ، ولكنه ضل حركاته العادية ووجد فيها خفة بدت له غريبة بل وجد فيهــا انزلاقاً عن الحركة ومحاولات في العدم .

وهكذا بدأنا نلقى في مجتمعنا العربي اناساً أطراً لا يدرون بماذا يملأون انفسهم ، وقد ابقوا على هيكلهم ولا يعرفون باي سداة يفرشونه . ولكن هذه الحيرة لا تطول لديهم اذ تجرفهم الحياة ، المبنية على النجاح والنفع وعدم الوقوف ، في خضمها قبل ان يأخذوا قرارهم وقبل ان يومض فيهم شعاع الرسالة الملقاة عليهم ، فتراهم ينصرفون الى روح تجارية محضة قد وفرت عليهـا عناء التساؤل وانخرطت في سلك الشيء غير آبهة للذات ومشت في تيار الامور المباشرة والحاجات المعاشية ، وكأنها تعلن ان مبدأها قضاء ما لابد من قضائه في هذا العالم الذي علمهـا العلم ان لا غاية منه ولا من وجوده وانه واقع لا يؤول الا بذاته ، اي ان مبدأهــا بالتالي الانغماس في لذة ونفعية دائمة ما دامت سيطرة التقاليد وحدودهــا لا مبرر لها وما دام العقل قد عجز عن ان يرفع قيمة الحياة المبنية على اللذة والمنفعة الى قيمة تسمو عليها .

وخطر مثل هذه الموجة المربكة ظاهر بين ، وهو اظهر ما يكون في بلادنا حيث لا كيان يمنع الافكار والاعمــال من الانفلات ولا روح اصيلة تصهر هذه الخطرات في كلها المنسجم . فكلنا يعلم ان اكثر الافكار المرتبطة بالسلوك هدماً وتدميراً لا تلبث ان تخرس امام صوت الواقع وامام مــا يسود من عرف في المجتمع ، وكلنا يعلم انه مهما تباعدت النزعات والاهواء فانهــا تتلاقى حين تهبط الى ارض التجربة العملية ، وقد يذكر بعضنا تلك العبارة الخالدة التي نطقت بهــا الجمعية الملكية في (مانهايم) والتي رددها ورددها من بعد « ليفي برول » ، وهي ان المفكرين جميعهم بدأوا من مبــادىء نظرية متباينة وانتهوا في التطبيق الى

نتائج واحدة . ذلك ان اكبر محك للقيم السلوكية السلوك نفسه وان الريبة والشك يقفان حيث يبدأ العمل كما تقف اوهام المزارع وشكوكه مهما كانت جسيمة حينما يصبح امام الحكم على مستقبل زرعه فيأبى ابداً ان يعتقد ان ما غرس قد لا يستوى على سوقه . وذلك ان الحياة لا تناقض ذاتها ، فهي الحيـاة معناها ان تبقى وان تحفظ النوع وتصونه .

نعم ، كلنا يعرف هذا فيطمئن لمستقبل النوع والمجتمع ويعلم ان الحياة تحمل في ثناياها بذور بقائهـا ودوامها وان المجتمع ذا الكيان يحتوي على جذور رسوخه . ولكن كلاً منا يعرف في الوقت نفسه ان مثل هذا الاطمئنان لا يجوز في مجتمع لا كيان وطيد له وفي نوع لا يزال في مطلع بناء ذاته وتشييد عضويته . وليس من صغير الامر ابداً ان يبدأ مثل هذا المجتمع حياته قلقاً غير مطمئن للحياة وان يحاول الشك والريبة في القيم قبل ان يبني اية قيمة : كالذي ألفى نفسه عاجزة عن ان تنشىء قيمها الروحية فبرر عجزه بعدم قيمة هذه القيم وعدم جدواها .

وكم من الانهيار ان نجد الجيل الذي تقع عليه مسؤولية بناء امته لا يحمل في نفسه قيمة فردية بله اجتماعية ويهزأ من كل المعايير هزء « بازاروف » بطل (تورجنيف) ويكون عدميـاً مثله اي « رجلاً لا ينحني امام اي سلطة ولا يؤمن باي مبدأ مهما كان هذا المبدأ غنياً بالمهابة والجلال » ؟ كم من الانحلال الا يقتبس فردنا الجديد من روح العلم الا الشك في كل شيء واخضاع كل امر لمقياس الحاجات بما فيها من غلظة وبرودة ، والا يفهم من الفكر الحر والعقل المجرد ، الا معنى النفي والانكار ؟

ان في العلم روح شجاعة وثقة وفروسية هي احق ان تتبع ، وان في العقل قوة وحي وابداع هي خليقة بان يهتدى بها فيكون العقل مصدراً للطاقة المتصاعدة ومنبعاً للشرف العميق ، ويكون التفكير القائم على الامانة والاخلاص اكبر مدرسة للنبل والتضحية ، ويكون الخلاص من الايمان بالمخلفات الواهية اكبر حافز على قوة الايمان بالرسالة الجديدة اذ تفرغ على هـذه الرسالة كل الطاقات المختزنة في منابع تلك ، يضاف اليها طاقة جديدة هي طاقة الجدة .

ان اطراح المسؤولية القديمة حمل لمسؤولية جديدة اعنف منها لانها حفر في مجهول غريب عن العرف ، ولا مسؤولية بدون تخلق صاف وايمان بكر بعيد عن الروح التاجرة ، وبدون قيم في الحياة مبنية على الثقة بكائن جليـل له نعمل ونحوه نتجه . ينبغي ان نعرف كيف نجرد من كنه ذواتنا كائناً موضوعياً لا نلبث بعد ان نخلقه ان نخلق منه ونستجد من وجوده المهيب قوة قيمنا وغزارة اعمالنا ، وعلينا الا نجعله كائناً فضفاضاً كثير الاتساع بحيث تنفلت فيه قيمنا وتنهزم منه القدرات التي اختزناها فيه ، وانمـا علينا ان نجعله كائناً يتصف بالكثافة قبل الليونة وبالتوجه نحو مركزنا لا بالانبعاث منه والضلالة في دوائر مركزية لا آخر لها . وعندها لا يكون العلم علماً بالشك وانمـا علماً بالوسائل التي تعمل على تحقيق كلمة هذا الكائن ، ولا يكون التحرر من التقليد حيرة وارتباكاً وانما كشفاً للرواسب التي كانت تغطيه وازالة للصدى الذي كان يغمره ، كما لا يكون الفكر تلذذاً بالمضغ والاجترار وانما مشرعاً يعل منه الافراد ما ينعشون به ذلك المبدأ الموجه ومورداً يغتذون منه ما يمدونه به من شرف وقوة ، وباختصار عندها تصبح للاشياء معان وتغدو للقيم دلالات ولا يخشى من هدم او بناء ولا نفي ولا ايجاب ولا تقرير ولا انكار اذ يغدو لاخطر القيم موضوعياً انفع الفائدة واكبرها وتكتسي افرغ الامور معنى ويصبح للسلب فائدته كما للايجاب وللهدم نفعه كما للبناء ويتضافر الكل في سبيل صيانة عضوية هذا الكائن سواء عن ارادة او قسر .

اذ ذاك تكون جميع الاعمال نغمات لايقاع اصيل ولحن فريد وتكون كل الافكار لوينات لصبغة اساسية ، ولا يكون التقيد بنظام تقيداً بجبرية لا مفر منها وانما ارتباط حر بنظام شريف . هذا الكائن المنشود هو فكرة قومية نصوغها من ذاتنا ونعبر بها عن نوعيتنا ونكتل فيها كل ما نملكه من معان وصفات مميزة تثوي في اعماقنا سواء منهـا ما يرجع الى ماضينا او ما هو من مكتسبات حاضرنا او من اتجاهات مستقبلنا . فنضع في قرارها مثلاً فروسية الجاهلية العربية وصفاء قيمها الاخلاقية ونصوعهـا ونبل ما فيها من مظاهر تنم عن روح فتوة بكر لم تصطنع بعـد المنفعة ديناً وانما آمنت بقيم مجردة عظيمة الطاقة قوامهـا الاساسي الايمان بذات روحية شريفة والاحتقار لدناءة الطيش . ثم نلهبها بوثبة الصدر الاول للاسلام ونختطب منها في صفائها وقوداً نرميه بشرارة الالهام التي في هذا الصدر الاول ، حتى اذا ما شعرنا بحرارة هذه القيم الاصيلة وقد التهبت كنا قادرين على ان نمدها بكل ما توحيه لنا عصورنا الحديثة من مبان ومؤسسات وكيانات روحية ومادية .

ولا يهمنا كم هذا الكائن الجديد وعمره بقدر ما تهمنا نوعيته وطرافته ، ولا يعنينا ان تكون له جذور في المـاضي البعيد او القريب بقدر ما يعنينا ان نشعر بجذوره في انفسنا . نحن لن نبني هذا الكائن ، اذ نبنيه ، من ماض او حاضر وانما نبنيه من كلنا

الشاعر بالحياة الحامل للقيم الناصعة سواء منها ما يتصل بماضينا او حاضرنا او ما يتوجه نحو بناء كيان متين . فكائننا هذا جلال من الماضي يضغط على كيان حاضر ويتوجه نحو مستقبل زاخر

قد يبتسم البعض اذ لا يقوون على استساغة معنى هذا التجديد ولا على احتمال وجود مثل هذا الكائن – اذ لا وجود عندهم الا للموجود المحسوس – . والذي نريد ان نقوله لهؤلاء اننـــا لا نجهل مقدار مـــا في هذا الكائن من تجريد بل نعتقد على العكس ان كياننا يزداد رسوخاً كلما اغرقنا في تجريده وكلما استطعنـــا ان نفرغ عليه من قوى امتثالنا حظاً اوفر . اذ كل ما نريده ان نشعر برعدة ذلك الكائن الذي هو منا وفينا اولاً نتعلق به لانه غرسنا وانتاجنا والمعبر عن امكانياتنا ، والذي هو اقوى منـــا واخصب ثانياً نستقي منه الدفع والاقبال . ولقد آن الوقت الذي تستطيع فيه نفوسنا النخرة ان تفهم معنى القيم الفكرية الموضوعية وتستسيغ الكائنات الذهنية وتقدرها وتستثمر ما فيها من قدرات كامنة . ولقد آن الوقت لتحرير روحنا اللاصقة بالشيء من ربقة الابتذال في الموضوعات والحاجات المعاشية كيما نجعل منها معبد طهر وشرف وكيما تشعر بكيانها وتعاني دفعتها المتصاعدة وتحس بحاجتهـــا الى التحليق .

كلنا يفهم ان النقد ممكن دائماً وكلنا يعرف ان اسهل الطرق لتبرير الضعف والفرار من المسؤوليـــات هو تسليط الحجج العقلية المطلية والمبنية مؤقتاً بناء دمى الاطفال على كل قيمة لهدمها وتقويضها والذي علينا ان نحتاط له هو مثل هذا النقـــد اللاعب العابر الذي يستثمر شرف العقل وامانته والذي لا يرمي الا الى مد وجزر لا نهاية لهما . علينا ان نصون روح العلم من فتـــك الروح التجارية وان نحفظ شرف العقل من غائلة التمتع المقنع وان نخلص لذاتنـــا فلقد فت الرياء العلمي واعجزنا انعدام الخلق في تفكيرنا

وعندها ، عندما تغدو ثقافتنا لحمة لروح مخلصة وعندما يغدو تفكيرنا تفانياً في مبدأ شريف ، وعندما تعبر افعالنا عن نزوع الى رفع طابعنا الانساني الى ملأ اعلى بـــدلا من الانحطاط به الى حيوانيته الماضية ، وعندما نكون باختصار كلا شاعراً غنياً شريفاً عندها فقط نستطيع ان نجد الراحة من قلقنا والنجاة من ارتباكنا وبلبلة قيمنا اذ نوجه ذواتنا نحو تلك المعاني الجبارة التي نحملهـــا كائننا الجديد .

القاهرة — عبد الله عبد الدائم

الاديب

✯

– لا يقبل الاشتراك الا عن سنة كاملة بدؤها من شهر كانون الثاني (يناير) .

– تدفع قيمة الاشتراك مقدماً وهي :
في سوريا ولبنان : ١٢ ليرة لبنانية .
في الخارج : ١٥٠ قرشاً مصرياً او ما يعادلها ترسل حوالة بريدية دولية او حوالة على مصرف في بيروت

– الادارة غير مسؤولة عن الاعداد التي تفقد في البريد

– احتفظت الادارة ببعض اجزاء السنة الاولى والثانية والثالثة فمن شاء من هذه الاجزاء فليطلبهـــا وثمن الجزء من السنة الاولى ليرتان ومن السنة الثانية ليرة ونصف ومن السنة الثالثة ليرة .

– تدفع الادارة ليرتين ثمن النسخة الواحدة من الجزء الثالث من السنة الثالثة ١٩٤٤

– المقالات التي ترسل الى الاديب ، لا ترد الى اصحابها سواء نشرت ام لم تنشر .

✶

ادارة الاديب : شارع الاحرار ، غربي ساحة الدباس

صاحب المجلة ورئيس تحريرها : البير اديب
سكرتير التحرير : بهيج عثمان
المدير الفني : مختار شملي

توجه جميع المراسلات الى العنوان التالي :

مجلة الاديب – صندوق البريد رقم ٨٧٨ بيروت – لبنان

الملوك ايام الافلاس

بقلم امين الغريب

عندما تضيق بك الدنيا وينضب المورد المالي اول ما يخطر ببالك ان ترهن بعض مقتنياتك الثمينة لتستعين بها على تمهيد سبيلك ريثما تتحسن الحال ويعود اليك اليمن والاقبال .

لكنك في الطريق الى موضع الرهونات تشعر بشيء من الخجل كأنك مقترف ذنباً . ولعمري ان هذا الشعور الداخلي المذيب هو اول دليل في الانسان على الاباء والكرامة .

هذا ما يكون حالك وانت من عامة الناس ، فكيف لو كنت ملكاً ، انه حقاً لامر عظيم !

عظيم ولكن الملوك الذين فعلوه مراراً كثيرون ، فرهنوا اشياءهم الشخصية وسدوا بعوضها المالي حاجتهم الشديدة العارضة ونفّسوا كربهم المبرح ، ولا نعرف حقيقة كم استحيوا وكم خجلوا .

وقبل ان نسرد للقارىء لائحة مدهشة باسماء بعض المتوجين او انسبائهم الاقربين الذين قاموا بزيارات سرية الى اماكن الرهن نقول ان كثيراً من الاخبار الشائعة عنهم تكون ملفقة . مثال ذلك ان ماريا جوزفين دوقة بافاريا والدة ملكة بلجكا السابقة وشقيقة دوق براغنزا اتهمت سنة ١٩١٢ بانها رهنت بعض مجوهرات العرش لكي تعيد ابن شقيقتها الملك مانويل الى عرش البرتغال . فاتضح ان هذه التهمة كانت قولاً هراء ، لمحض ان تلك الدوقة لم تكن لها سبيل الى مجوهرات الدولة . لا لتتزين بها ولا لتحتفظ بها ساعة واحدة . وكان زوجها الملك اوتو مجنوناً . وهي باقترانها به صارت دوقة « في » بافاريا ، لا « على » بافاريا . ولم تكن قط عمة ملك البرتوغال الخليع .

على ان تلك الاكذوبة وامثالها من نوعها لا تنفي ان يكون بعض الملوك ايام افلاسهم قد لجأوا الى اماكن الرهونات للتخلص من حرج موقت ، لكنهم لجأوا باشيائهم الخاصة لا بما يخص الدولة . فالملوك اليوم لا يملكون من تراث الدول سوى لقب ملك وهم ورؤساء الجمهوريات في ذلك سواء ، فهل من يفكر هنيهة في ان رئيس جمهورية يستطيع ان يرهن دار الحكومة لسد احتياجاته ؟

ان اشرف رهن ملكي في التاريخ ينسب الى ايزابلا ملكة فرديناند الاسباني اذ رهنت مجوهراتها الخاصة سنة ١٤٩٢ لتمكين كريستوف كولمبس من السفر بثلاثة مراكب لاكتشاف العالم الجديد ، هذا الرهن جعل اسبانيا في حقبة من الدهر اضخم دولة في العالم . لكن لتلك الملكة خليفة وسمية هي ايزابلا جدة المرحوم الفونسو الثالث عشر آخر ملك على اسبانيا ، فقد خلعها شعبها عن العرش سنة ١٨٧٢ وذهبت الى باريس ناقلة معها كل ما استطاعت من الاواني الثمينة وخصوصاً مجوهراتها الخاصة ، فكانت تستعين بها على امورها برهن تلك الجواهر في دائرة للحكومة الفرنسية تدعى « سوق الشفقة » تسترهن الاشياء الثمينة بافضل سعر ممكن تحت فائدة ٦ في المئة .

وقد عرفت ايزابلا بما كان يصيب الملوك اللاجئين الى باريس من تألب الزمر عليهم صاخبة عند عجزهم عن تشريف بعض عهودهم المالية ووفاء ما عقدوا من ديون . فلم تعرّض نفسها للتحقير بل شرعت ترهن يواقيتها البديعة ، الزرق حتى في الليل ، كالسماء الصافية ولآلئها الناعمة للنظر ، كالقطيفة للانامل ، وزمرداتها اللامعة كقطر الندى على تيجان الازاهر ، والماساتها الساطعة كأشعة الشمس ، وبالمبالغ الضخمة التي احرزتها عوضاً موقتاً عن هذه الاحجار الكريمة انشأت لها عرشاً خاصاً ودائرة ملكية في باريس .

ولما اتفقت اخيراً مع رعاياها اعيد العرش الاسباني الى ولدها وسلالته ، لكن سلالته لم تتجاوز على العرش ابنه الفونسو الثالث عشر ، اذ عاد الشعب فخلعه وطلق الحكم الملكي سنة ١٩٣١ . ففي وقتها اعيدت الى ايزابلا اكثر مفروشات القصور الخاصة بها ، وتقررت لها جعالة سنوية كبيرة من خزينة اسبانيا ، لكنها لم تعد الى وطنها ، بل استنسبت ان تظل في مركزها الباريسي الذي دعته « قصر كستيل » غير متنازلة قيد شعرة عن عزها الملكي .

على ان بذخها العظيم ورأفتها الفائقة الحد بعفاتها وقاصديها ، وجهلها المطبق لقيمة المال ، عاد فالقاها غير مرة على شفير الهاوية النقدية ، فكانت عند ذلك تردد العبارة التاريخية المأثورة عنها : « ان اجدادي يدفعون عني » . وانظر الان كيف كان اجدادها يدفعون .

اولئك الاسلاف الصالحون كان من حظ حفيدهم المتواتر افلاسها انهم صوروا انفسهم بريشات مصورين عظام كفانديك ورمبراندت وغيرهما ، وقد علقت ايزابلا رسومهم الفخمة في اماكن بارزة من غرفة المائدة في قصر كستيل الباريسي . كأنهم يرقبون

ما تنفق ايزابلا على مائدتها خصوصاً ، فكلما لحظوا في صندوقها نقصاً مخيفاً نزل واحد منهم من عليائه وسار تواً ضمن اطاره الثمين الى مكتب الرهونات حيث يبقى اسيراً لقاء مبلغ مالي يسد حاجة حفيدته العزيزة ريثما تستطيع هي فكاكه عند ورود الجعالة السنوية او بشكل آخر ، فيعود ادراجه من اسره ، الى قصره

وكانت ايزابلا اثناء تغيب الرسوم الموقت من قاعة المائدة تلحظ احياناً تحديق ضيوفها الى الاماكن الفارغة من اعالي الجدران فتنتهرهم باسمة بقولها : « يا خبثاء ، تفتشون عن اجدادي الاعزاء ، انهم يقومون بغيبة قصيرة من اجلي ، وسيعودون قريباً فاستقبلهم بحبور لشعوري العميق بفرط ما انا مدينة لهم » .

وقد طالما نبه ايزابلا اعوانها الى سوء مغبة الاسراف ، فكانت تصغي اليهم بلطافة ، ثم تقوم الى خزانتها وتعطي السائل ما طلب امام اولئك الاعوان المبهوتين وهي باسمة

وفي باريس ايضاً وجد في مثل تلك الحالة فرنسوا الثاني ملك نابولي وزوجته الملكة ماري شقيقة اليصابات امبراطورة النمسا . وذلك بعد ما طردا عن العرش اثر معركة حربية اظهر الملك فيها انه من اشجع الرجال . لكنه بعد ما استقر في باريس بصفة رجل عادي لم يكترث لجمع قواه والسعي لاستعادة عرشه المفقود . بل اظهر من الضعف والخور ما يقبح باي رجل كان ، اما زوجته ماري فبعكس الامر لم تفكر في شيء غير ذلك . وقد تم لهذه المرأة الجريئة القلب الممشوقة القوام الجميلة الصورة ان تعد بين كبار ابطال الحروب . لانها اظهرت في المعركة الاخيرة بأساً عظيماً وبسالة مدهشة في معاونتها للجنود في القلعة ، وابتسامها الدائم ، حتى انها عندما اصيب سطح غرفتها بقنبلة مدفع انهال على رأسها رشاش الكلس مدراراً فنظرت الى المرآة وبشت لشعرها المجلل بالبياض وقالت : «أليس الشيب جميلاً »

فماري وزوجها فرنسوا لم يكونا ايام العز في نابولي متفاهمين . وبالطبع لم يزدهما البؤس والعوز الا تنافراً . فرهنت كل ما سلم لها من مجوهرات قليلة القيمة . وعاشت في بارك دي نويلي في نزاع متواصل مع زوجها الذي صار بليداً خاملاً . لكن احوالها تحسنت بعد موته بميراث آل اليها من والدتها ، وبجعالة سنوية خصتها بها حكومة ايطاليا بناء على الاتفاق المعقود يوم زواجها بين مملكتي بافاريا ونابولي . وقد دفعت لها ايطاليا متراكمات هذه الجعالة من يوم اغتصاب العرش من زوجها ومنها . وما كادت جيوبها تترع مالاً حتى تحولت كشقيقتها اليزابت الى سباق الخيل ، وكانت خيولها تسبق مراراً في الرهان .

وليس بين رهونات الملوك وابنائهم اغرب من رهن عقده مرة ولي عهد الملكة فكتوريا الانكليزية الذي صار بعدها الملك ادوارد السابع . فقد ذهب الى فرنسا سنة ١٨٧٢ واراد التفرج على ميادين الحرب السبعينية وآثار المعارك التي جرت فيها . فلما اراد العودة من سيدان اكتشف مع الاسف ان جيبه فرغت تماماً . وكان يسيح وقتئذ متنكراً ، أي دون علم السلطات المحلية . وكان مرافقه القائد ميزدال وخادمه كلاهما خاويي الوفاض مثله . ولم يشأ ابن فكتوريا العظيمة ان يظهر للسلطة الفرنسية بهذا المظهر لاسباب بديهية في تلك الايام فتفتقت له الحيلة ان يأخذ الساعات الثلاث وسلاسلها منه ومن رفيقيه وخاتماً ثميناً كان في يد الجنرال الى اقرب مكتب للرهونات ويأخذ عليها ما تيسر من النقود حتى تخلص وحاشيته من هذا المأزق الحرج . وبالطبع لما بلغ الامير مدينة بادن بادن في المانيا ارسل خادمه فاستفك الرهن . لكن الامير ظل طول حياته لا يسمع بذكر سيدان الا يبتسم ابتسامة معنوية يشغل مغزاها بال جلسائه .

لما كان الملك ميلان اميراً على سربيا - وهو ابن رعاة ماعز كما يعلم الجميع - رهن مراراً السيف البديع المرصع بجواهر ثمينة وهو الدليل على حكمه . ونسي آخر مرة ان يستفكه . فعرضه المسترهن للبيع بالمزاد . وبلغ الخبر فرنسيس لوسف امبراطور النمسا الذي كان غيوراً على مقام الملوك اجمعين فراعه الامر وارسل من ابتاعه باسمه .

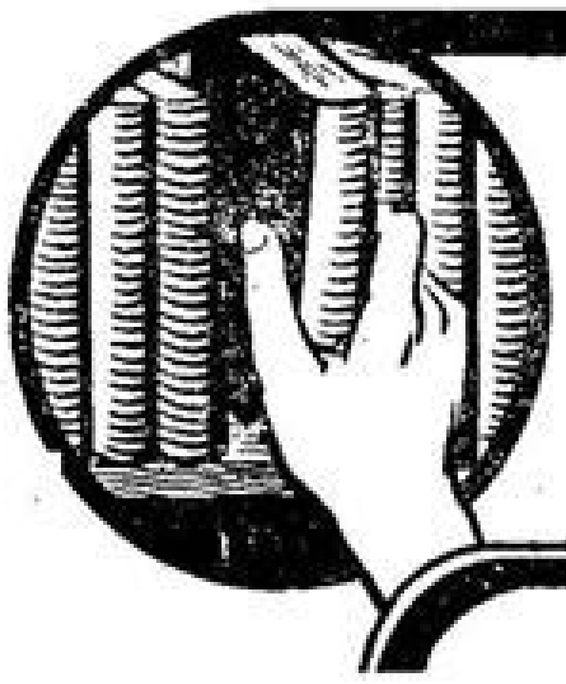
واتفق مرة للدون كارلوس الذي كان يطالب بعرش اسبانيا ان يرهن في فرنسا وسام « جزة الصوف » الذهبية المرصع بالجواهر وهو الوسام عينه الذي تقلده قبله منشئه كارلوس الجريء . وهو اعلى الاوسمة شأناً في العالم كله . وبعد كارلوس الجريء انتقل الى حوزة كارلوس الخامس . فاحدث هذا الرهن جزعاً في القلوب الملكية .

واتفق لولده دون جايم ان يرهن ٣ مرات عند خاو جيبه عقداً لؤلؤياً بديعاً كان يسطع قبلاً على جيد ماري انطوانيت ملكة فرنسا التي قطع الثوار رأسها بالمقصلة في باريس مع زوجها الملك لويس السادس عشر .

ايها القارىء ، وقاك الله شر الرهن والرهان . ولو كنت ذا تاج وصولجان .

امين الغريب

مكتبة الاديب



١ – علم النفس يدلك على الطريق

للاستاذ رجينالد وايلد – ٤٧ صفحة – منشورات العلم للملايين

الذي ينقصنا ، ليس شيئاً وراء التوجيه لبناء الشخصية الكاملة التي تعي حقيقة وجودها ثم حقيقة الوجود .

وان المصلحين الذين راودتهم فكرة الاصلاح فسعوا اليهـا ثم انتهوا بالاخفـاق دون غايتهم ، اخطأهم ذلك البناء الصحيح والتدعيم الراسخ القائم على وعي الذات .

ان ينبوع القوة الذي يجيش هادراً في اعماق النفس الانسانية ، والذي يتحرك بفعاليات لا تفنى جذوتها ، ان يتدفق بنميره الاقدس في اقنية الحياة ويتوهج بناره ونوره في الخلق والانشاء ، الا بهذا البعث النفسي الذي يهديك سبيله مثل هذا الاثر القيم .

قلت وما فتئت اقول وسأقول دائماً ، ان كل حركة ترمي الى البناء او الهدم ، الى نهضة او اصلاح ، ان تنجح دون هذه اليقظة النفسية الواعية ، التي تصحح القيم وتمحو وتثبت في امتـدادات متصاعدة . وبهذا المقياس ندرك مقـدار ما في كتلة الانتاج التي تغمر السوق العربية ، من تخلف وانحراف وتقهقر .

وانا ما سررت بشيء سروري بهذه المحاولة المثقفة النيرة ، التي ترمي بمنشوراتها الى انشاء كائن عربي يعي حقيقته ويقع على ذاته هذا الكائن الذي وعى حقيقته مرة ، فهدم عالماً وانشأ آخر ، وان غده الشامخ رهن بمثل هذه المحاولات الصـادقة ، التي تذهب في اتجاه الغاية نفسها .

وان هذا السفر مشكاة حقيقية الى النفس والنفس العاملة المتطلعة ، وهو جزء من سلسلة – اذا اخـذت نسقها – فسوف تكون المجدية وعي الشخصية والمجدية وعي الحياة .

٢ – رسالة الملائكة للمعري

تحقيق الاستاذ محمد سليم الجندي – ٣٠٩ صفحة – منشورات المجمع العلمي العربي بدمشق

وجدان هذا الاثر العلائي كاملاً حدث ادبي عظيم ، وابرازه في هذا الشكل من العنـاية بالتصحيح والشرح عمل آخر عظيم ، والى المجمع العلمي يرجع فضل شأنيهما .

وقيمة هذا السفر تظهر لنا اكثر وضوحاً ، حينما نعرف ان ما كنا نتوهمه حتى اليوم وندعوه « رسالة الملائكة » ، ليس هو في الواقع الا مقدمة او شيئاً يشبه المقدمة .

وهذه الزيادة التي نطالع بهـا – وان تكن لغوية محضة لا تغني الباحث كبير غناء في فهم المعري الغامض – تمدنا بمبلغ البحث اللغوي عنده وفرة وعمقاً ، كما تشير الى المنزلة الرفيعة التي ادركها ذلك البحث عصر المعري . ففيهـا ملاحظات نشوئية دقيقة ، الى اخرى مثلها على منهج الاصطلاح الصرفي .

وهي من انحائها قطعة نادرة من البحث اللغاني « الفيلولوجي » على اصول المدرسة العربية القديمة ، جاءت في القوة نسقاً مع مثل كتابات ابي سعيد السيرافي على مصنف سيبويه و كتابات ابي البركات ابن الانباري في بيان اسباب الخلاف بين نحويي البصرة والكوفة .

ويظهرنا هـذا السفر على نواح تتفاوت اهمية ، وان تكن تنتظمها من حيث الفهم الشامل لابي العلاء . وهي :

(١) المذهب الكوفي الذي يظهر انه كان اكثر ميلاً اليه .

(٢) سيبويه ليس الثقة في فهم الخليل ، فنحن نلمس شدة ائتمامه الخليل لمساً ، وايضاً نلمس شدة تفنيده على سيبويه الى حد الارهاق في شرح آراء الخليل ، الامر الذي يـدل على ان المعري يحاول هدم المذهب البصري القـائم في الحقيقة على سيبويه ، رغم خطئه في فهم الخليل وخطئه في فهم الواقع العربي للكلمات .

(٣) اتباعه لطريقة ابن خالويه الرامية الى القطع والاحصاء ، وهي المعروفة بطريقة « ليس في كلام العرب الا كذا » ، ونحن اذا تأملناها جيداً نجد فيها اثر قانون النفي والاثبات الذي تبسطنا بشرحه في كتاب « المعري ذلك المجهول » .

(٤) رسالة الملائكة في اللغة كاللزوميات في العقائد وما اليها قصد فيهما كليهما الى ما تسميه الباطنية « الالزام والكسر على الخصوم » . ومعناه ان مـا عليه الناس من اقيسة يصطنعونها ، ومنطق يتفننون به ان في اللغة او في الفكر ، لا يثبت على التحليل وتطريق الاحتمال من حيث انه يثبت الشيء ويثبت خلافه فهو خداع باطل كالسراب وان ترآى متدفقاً وهاجاً . خذ بحثه للفظ

« مهيمن » ص ٢٢٨ — ٢٨٠ ، فقد ذكر اجماع الناس على انه مكبر وان وافق لفظه لفظ التصغير ، وهو مشتق من « همن » فعل ممات ، ويحتمل ان يكون من « الامن » والهاء مبدلة من الهمزة ، وان يكون من « همى » ، ويجوز ان يكون من « هيم » وذهب البعض الى انه على وزن مهفعل فيكون اشتقاقه من « اليمن » الى قياسات تنبسط على حد تعبير المعري .

وهو يبحث ذلك كله بتوجيهات كفيلات ببعث الحيرة عندك وعدم الثقة بها كافتها شأنه في اللزوميات، وانت تدرك سر صنيعه هذا عندما يخرج في الاحتمال عن المقتضى اللغوي ، الى الاحتمال على منهج الفرض المجرد الذي لا تستضيق عنه اللغة ، والذي قد يجد نظائره واشباهه .

والرسالة بعد هذا تشتمل على مقدمة : كتبها باسلوب الخيال الطائف باللغة على دنيا الخلود ، بيد ان الخيال فيها مقتضب قصير الجناح داني التحليق ، وهو بالنسبة الى صنوه في رسالة الغفران يعتبر خطوطاً اولية ورسوم تجربة لما تبلغ درجة نجاحها .

وتشتمل على صلب : تناول فيه بحث مسائل من اللغة، كتبه باسلوب اللغوي العالم وبتعبير الاقدمين باسلوب الدراية اللغوية .

وتحدث الاستاذ المحقق في مقدمته عن اشياء كثيرة ، مثل : ما عرفه الغربيون من هذه الرسالة ، وما عرفه متقدمو المشارقة ومتأخروهم منها ، وكيف كان الظفر بهذه النسخة الكاملة . وبحث سبب تأليف الرسالة ، ولمن ألفت ، وايضاً بحث زمان تأليفها ومكانه . فنقل رأياً للميمني الراجكوتي فحواه انها ألفت سنة ٤٣٥ تقريباً ، ورأياً آخر للمستشرق الروسي كراجكوفسكي يجعل زمن تأليفها قبل ذلك بسنوات ، وانا استبعد كلا الرأيين وارجح انها ألفت في حدود سنة ٤١٠ لاعتبارات :

(١) ان المعري في هذه الرسالة مضى ص ٢٣٣ على اعتماد تركيب « اليوم تنساه » او « هويت السمان » مثل ضابط لحروف الزيادة ، بينما نراه في الفصول والغايات يرفضها رفضاً محضاً ويختار تركيبين آخرين يشعران بخطة سلوكه وهما « التناهي سمو » و« تهاوني اسلم » . راجع اوج التحري ص ٦١ .

وهذا شيء يبيح لنا ان نستأنس به ، على ان رسالة الملائكة كانت قبل الانتهاء من كتاب الفصول والغايات ، وهذا الاخير كما يخبرنا ياقوت في معجمه كان قبل التاريخ الذي قال به الميمني وكراجكوفسكي بكثير .

(٢) خيال الرسالة الذي جاء — كما اشرنا قبلاً — مثل خطوط تجربة لما تبلغ درجة نجاحها بالنسبة الى صنوه في رسالة الغفران ، فهي قطعاً قبل هذه الاخيرة .

ونحن اذا تأملنا وقائعها نجد انها لا تجاوز حياة البرزخ في القبر او بتعبير آخر حياة المطهر وجانباً من المحشر ، فهي اذن الحلقة الاولى بالنظر الى رسالة الغفران ، ولا يبعد ان المعري وضعها كذلك قسمين لملهاة آلهية واحدة .

(٣) ان اسلوب الرسالة تضعف فيه شخصية المعري الاسلوبية التي التزم قيودها وحدودها ، فالزوم فيها قليل وملاحنها استعارية بيانية وليست كنائية رمزية .

ثم بحث الاستاذ المحقق قيمة الرسالة ، ومميزات المعري فيها ، وقد احسن في ملاحظاته ايما احسان .

وهذا عدا ما امتازت به تعليقاته وشروحه ، من تحقيقات قيمة وجهد مشمر يتجلى في كل صفحة في كل موطن ، ورغم هذا لم تخل الرسالة من فرطات هينات .

ففي ص ١٨ س ٧ فيهم ، وصوابه فيه ، لا غير لان الضمير يعود على « واحد الزبانية » والا فيفسد التركيب على مقتضى التصحيح .

وفي ص ١٨ س ٧ لا واحد لهم من لفظهم ، والاصح : لا واحد لها من لفظها ، لعود الضمير على الكلمة وليس على مدلولها ، كما حققه احمد فارس الرازي في آية « وعلم آدم الاسماء كلها » راجع المزهر .

وفي ص ٢٤ س ٤ خليليّ ، وصوابه : خليليَ بالتخفيف قطعاً والا بطل فيه الشاهد على تثنية الضمير ومرجعه واحد في لفظه .

ومهما يكن من شيء ، فقد جاءت هذه الرسالة بما توفر فيها من جهد في التصحيح والضبط والشرح ، تحفة من تحف النشر العلمي المحقق ، ولا يسعنا حيال هذا الجهد الا ازجاء الشكر للاستاذ البحاثة وللمجمع العلمي ، على ما خدما به المكتبة العربية من نشر وتحقيق .

عبدالله العلايلي

صحيفة الدراسات الشرقية

المعهد الفرنسي بدمشق — الجزء العاشر ١٩٤٣ — ١٩٤٤ — عدد الصفحات ١٦١ قطع كبير — طبع بيروت

منذ اواسط القرن التاسع عشر للميلاد عرفت اوساط العلماء في اوربة تراجم لادبنا العربي ، ومحاولات في تفهم اعلامه، وطبع

لنصوص مختارة منه . وفي فجر القرن العشرين قدم المستشرقون الى الشرق فسكنوه ، واسسوا جمعياتهم فيه للنشر والتحقيق والبحث . ففي مصر والقدس ودمشق والقسطنطينية معاهد فيها علماء يغذون ابحاثنا باساليبهم الجديدة ، ويشتركون في اعمالنا الثقافية كما غذى الفرس ادبنا في مستهل فتوته .

اما معهد دمشق فقد نشر كتباً وصحفاً عدة ، ولم تحل الحرب ومظالمها دون اكمال رسالته ، فقد نشر صحيفته السنوية ، وخصها بمقالات قيمة نرجو ان تكون مشاراً للتمحيص وباعثة للنظر ، وحافزة على التقليد . فنحن في فجر حياتنا الادبية ، ومستهل بعثنا العلمي ، يجب ان نأخذ باطيب الدراسات واقوم المناهج . ومن الخير ان نقلد تقليداً عاقلاً لمن يجاورهم في الزمان والمكان .

ولن نحلل ، هنا ، هذه المقالات ولن نلخصها فنبعث على الكسل ، وانما نريد ان يعرض لها من يجيد الفرنسية ، فهي غنية قوية ، لا تسرف في لفظ ، ولا تحيد عن خطة ، ويكفي ان نعدد المواضيع لنبين عن ثروتها الفكرية .

فيها مقال للاب نصرالله عن حجاج القلمون وثان للمهندس « لوفره » عن الاضرحة والمعابد لنصارى زبد ، وثالث للسيد « له سكو » عن ترتيب ديوان حافظ الشيرازي وفاق الزمن ، ورابع للاستاذ « هانري بيريس » عن حديث عيسى بن هشام للمويلحي ، واغراضه واسبابه وخامس للمستعرب «هانري لاووست» عن حياة ابي العلاء وفلسفته ، وترجمة مقاطع كثيرة من شعره .

كل ذلك في دقة ووضوح وثقة تهيب بنا الى شكر «المعهد» على ما يقدم من خدمة للشرق العربي ، ومساهمة في العمل لادبنا البكر ، وبعث لرجالنا واحياء لاماكننا الدارسة .

سدد الله الخطا ، واجزل للمعهد عداد ما يتوخى من خير في يسر الانسانية وتقريب الالوان ، ووصل الانسان بالانسان .

حلب سامي دهان

التعاون الثقافي بين الاقطار العربية

للاستاذ عبدالله المشنوق – ١٢٠ صفحة – مكتبة الكشاف ، بيروت

نصت المادة الثانية من بروتوكول الاسكندرية على ان تتعاون الدول العربية الممثلة في اللجنة تعاوناً وثيقاً في شؤون الثقافة .

لا شك ان هذا التعاون الوثيق لا يمكن ان يقوم الا اذا بحثت نواحيه المختلفة اعمق بحث وادقه ، وعرضت في شؤونه شتات الآراء واتجاهاتها المتعددة ، وعندئذ تستطيع اللجنة الفرعية التي ألفت من الخبراء لتعد مشروعاً بقواعد التعاون ، ان تهتدي بمجموعة من الدراسات تنير لها السبيل ، وتيسر امامها الصعاب والعقبات .

والكتاب الذي يقدمه اليوم الاستاذ عبدالله المشنوق هو اول كتاب جامع « ركزت » فيه قضايا التعاون الثقافي بين البلاد العربية فعرضها عرضاً قريب التناول ، ثم ناقشها ، وقدم ما يراه فيها من الاقتراحات .

والذي صدر هو الجزء الاول من هذا الكتاب ، وينقسم الى قسمين ، يتحدث القسم الاول عن ما يصح ان نطلق عليه تعريف التعاون مميزاته وعناصره ، والقسم الثاني منه يتناول ميادين هذا التعاون ، كالمناهج والمعلمين والكتاب والمعادلات بين الشهادات والبعثات والمجامع والمكتبات والتأليف والترجمة والنشر . وينتهي هذا الجزء بملحقين احدهما نص بروتوكول الاسكندرية والثاني قانون المعارف السوري .

ويلاحظ القارىء بوضوح تام أثر اختبارات المؤلف الشخصية في حقل التربية ودراساته الخاصة لمختلف اتجاهات التعليم في البلاد العربية ، وهو حين يتحدث في هذه الموضوعات انما يلقي عصارة سنوات طويلة قضاها في التعليم في صفحات . . لذلك يحس هذا القارىء باعجاب فائق بالوسائل التي عالج بها المؤلف مشكلات التعاون الثقافي حتى حلها على أيسر سبيل .

غير ان هذا القارىء نفسه لا بد له من ان يحس امرين آخرين الى جانب هذا الاعجاب . اولهما ان القارىء كلما اخذت صفحات تخطو به نحو نهايته ، يشعر ان « المشاهد » اخذت بالتتابع مسرعة مستعجلة لا تتيح له ان يقف عندها طويلاً ، ولا ان يتغلغل في ثناياها المتشعبة ، وانما هي حديث موجز جد الايجاز عن المدارس والجامعات والمكتبات والتأليف والترجمة والنشر .

والامر الثاني هو شيء من التناقض بين بعض مواضع الكتاب ففي صفحة ٢٠ مثلا . . . التعاون بين الاقطار العربية قديم يرجع الى القرن التاسع عشر . . . » ثم تتناول المظاهر الرائعة التي تمثل هذا التعاون .

ولا نحتاج هنا ان نقول ان التعاون الثقافي أقدم من القرن التاسع عشر بكثير ، فهو يرجع الى القرن الثاني والثالث للهجرة في العصر العباسي ، فالمناهج كانت واحدة ، وتحضير المعلمين كان يجري بصورة متشابهة . والكتاب العربي كان واحداً ! والبعثات العلمية كانت منتشرة في كل الانحاء ، وكانت الرحلة ميزة جذابة للعالم في ذلك الزمن . . وكان الطلاب يسعون من اقاصي البلاد

العربية الى اقاصيها ليحظوا بلقيا عالم او مفكر ... واذن فان التعاون حقيقة واقعة منذ ان اتخذت هذه البلاد اداة تفاهمها « العربية » .. وكل ما نسعى اليه هو تنظيم هذا التعاون ، على نحو يلائم رقي الفكر واتساع الافق، فما اشبه الثقافة بنهر كبير يسيل منذ ازمنة قديمة غير اننا نحاول اليوم الافادة منه على اوسع نطاق فنقيم مجاري الري والسدود ، ليعم فضله وتنظم خيراته .

قلت ان القارىء يحس بشيء من التناقض لان المؤلف الذي قال ان التعاون يرجع الى القرن التاسع عشر ، يعود فيتذكر في ص٦٧ ان ابا العلاء رحل من المعرة الى بغداد ، وان جامعات بغداد وقرطبة والقاهرة كانت تعج بالطلبة من كل الاقطار العربية والغربية .

وهذا الكتاب، بعد ، جدير ان يكون خطوة تتبعها خطوات في سبيل اقامة تعاوننا الثقافي على دعائم تكون من القوة بحيث تمهد السبيل لتعاوننا في النواحي الاخرى .

الانكليز كما عرفتهم

للاستاذ امين المميز – ٣٠٩ صفحات – بغداد

مؤلف هذا الكتاب الاستاذ امين المميز معاون مدير الدائرة السياسية (الشعبة الشرقية) في وزارة الخارجية العراقية ، قضى شطراً من حياته في السلك الدبلوماسي في لندن ، فتعرف عن كثب بالشعب البريطاني وألم بعاداته وتقاليده ، والجزء الاول الذي صدر اخيراً يتناول الرجل الانكليزي والمرأة الانكليزية ، وحياة الانكليز السياسية والاجتماعية .

ان محاولة المؤلف ، كما قال السيد توفيق السويدي في مقدمته لهذا الكتاب ، ليست الاولى من نوعها بل هي جزء من تلك المحاولات الواسعة النطاق التي قام بها العلماء في العالم لسبر غور العوامل الكامنة في هذا الشعب ، التي جعلته يفوق اقرانه واضطرت الآخرين الى السعي لتقليده في اعماله واقواله .

ويمتاز هذا الكتاب عن كل تلك المحاولات انه وفق الى تحليل نواح كثيرة من نفسية الشعب البريطاني وخلقه ، جديرة بان يطلع عليها القراء العرب ليتعرفوا على وجوه نشاطها ومختلف مميزاتها .

فلسطين العربية

للاستاذ وديع تلحوق – ١١٢ صفحة – مجلة العالمان – دمشق

تقدم مجلة العالمان التي تصدر في دمشق كتاب فلسطين العربية في ماضيها وحاضرها ومستقبلها ، مساهمة منها في ميدان النضال التحريري واداء للرسالة القومية ، وهو يتضمن عرضاً وافياً للقضية الفلسطينية في مختلف نواحيها واثباتاً اكيداً لحقوق العرب فيها ، ودفاعاً علمياً صحيحاً عن وجهة النظر العربية ومطالب العرب في هذه الدعوى الحقوقية الدولية . وقد عمد مؤلف هذا الكتاب الى عرض هذا البحث باسلوب علمي وبلغة العقل المجردة ، لا بالاسلوب العاطفي فقط .

خفايا الحياة الجنسية

ترجمة الاستاذ وجيه الصباغ – ١٧٦ صفحة – منشورات اليقظة – دمشق

يقول الدكتور احمد منيف العائدي في مقدمته عن هذا الكتاب : « هل نحن بحاجة الى الشباب القومي بجسمه وعقله في أي وقت مضى ، اكثر من حاجتنا اليه في يومنا الحاضر ؟ اننا لم نعتد مجابهة الواقع ، ولا سيما فيما يتعلق بهذه الابحاث التي يجب ان يعرفها كل فرد فينا من غير جبن ولا حياء ... وهذه الرسالة الموجزة ، قد كشفت ذلك القناع المظلم ووضعت بين ايدي الناس صورة صادقة لما يجب عليهم معرفته من النواحي التناسلية والاجتماعية والصحية .. وقد كتبت باسلوب شيق محبب الى النفوس تحيط به الصراحة والصدق » .

في قرى الجن

للاستاذ جعفر الخليلي – ١٦٠ صفحة – مطبعة الغري – النجف

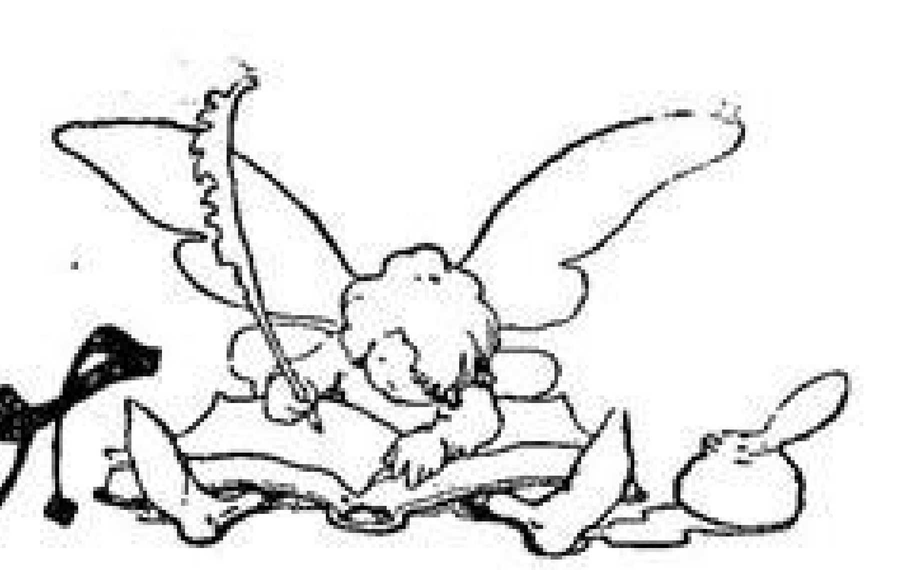
رواية خيالية تصور اعتقادات بعض الناس باعمال الجن وسحرهم وما يأتون من عجائب وما يحملونه من مساعدة لمن يتوصل اليهم من اهل الانس عن طريق « السحرة » في الخطة . وينثر المؤلف فيه بعض آرائه في السياسة والاجتماع عن طريق روائية . ويجد الاحداث – بالاجمال – في هذه الرواية بعض المتعة . على انها تبعث الملل ولا تغري بالمتابعة . والاسلوب سهل يرك احياناً ويعتدل احياناً اخرى . وليست الاخطاء النحوية والصرفية يسيرة في الكتاب

صور واحاديث اجتماعية

للاستاذ عبد الرزاق الهلالي – ١٣٠ صفحة – مطبعة الرشيد – بغداد

كتاب جمع فيه صاحبه مقالات له متنوعة عن المجتمع الذي يعيش فيه وعن بعض الخواطر السريعة التي كانت تنزل بآله نزولاً عجلان فيسكبها في صفحات من الشعر والنثر اذا انتقدت قال ناقدها ، انها صفحات كثيرة الافكار والآراء ولكنها ليست متسلسلة تسلسل التأليف ولا متدفقة تدفق البيان المشرق ، بل هي في اوائل الاختمار فلو انصب المؤلف على القراءة والعمل الادبي والنثري فقط لكان له في الغد مكانة بين اخوانه الكتّاب العراقيين الطالعين .

جولة الأديب في شهر



عمر ابو ريشه
عبد الله المشنوق
خليل تقي الدين
محي الدين النصولي
الدكتور نقولا فياض
يتحدثون

عمر ابو ريشة

خطر لي ان اتوجه بطائفة من الاسئلة الى نفر من رجال الفكر والادب في مدينة بيروت. ولقد كان اول من لقيت شاعر الشباب العربي الاستاذ عمر ابو ريشة الذي هبط بيروت ليلقي قصيدته في الاحتفال بالمولد النبوي الشريف. فقلت هل جنت حياتك السياسية على شعرك ؟ فاجابني قائلاً : من الواجب على كل قومي عربي ان يستعمل شتى الوسائل من اجل بث الفكرة القومية في شعبه ، ولكي يوفق احدنا الى مخاطبة الجمهور ينبغي ان لا ينزل الى مستواه بكل ما في هذه الكلمة من معنى ايضاً ، اذ الشاعر في مثل هذه الظروف مضطر لان يتخلى عن الناحية الفنية والمقاييس الشعرية ،



فانا عندما اكتب الى فني الخاص انما اكتب بتفكير خاص واسلوب خاص ، والذين سيقرأون مسرحيتي سميراميس سوف لا يصدقون ان ناظمها هو الذي نظم ما عرف له من قصائد في القومية والاجتماع ، وحياتي السياسية اثرت على وقتي اكثر من تأثيرها على شعري ولولا ذلك لكنت انصرفت الى النظم اكثر مما انصرف الآن ، ولكنت اخرجت الى عالم الشعر اضعاف ما نشرت وانشدت.

— وهل يرتقي الشعر في عهد الحضارة أم يتأخر ؟

لا يزال مقياس الحضارة مجهولاً حتى الآن لا نعرفه.

— فهل الحضارة التي عنيت تتمثل في سمو الروح أم في سمو المادة . وايها تفضلون ؟

السمو الروحي، طبعاً، لاننا في وقت طغت عليه المادة واصبح كل شيء فيه آلياً حتى العقائد والمبادىء ؟.. ان مدى التحسس بكل ما في الحياة من جمال وجلال – واعني بهما مطلقين غير مقيدين بمظهر من المظاهر – هو في نظري مقياس السمو الروحي ، ولما كانت غاية الشعر ان تعبر عن خلجات الروح الحساسة كان من الطبيعي ان يسمو مع سموها . ثم تساءل « هل تستطيع الالفاظ ان تؤدي تلك الغاية ان كانت شعرية مثلاً » انه لا يؤمن بذلك لانه يرى ان الالفاظ ما هي الا توابيت لرعشات مختلفة وخلجات عميقة لا تقوى الكلمة على اداء المعنى كما تمسه النفس او ترتعش نحوه الروح.

— من احب الشعراء اليكم ؟

شعراء الجاهلية على الاطلاق .. فقلت اخشى ان يقول عنكم من لا يروقه هذا الرأي انكم من الرجعيين.

فاجاب : ليقولوا .. ان عندي من الادلة ما يؤيد صحة رأيي وليتهم يقولون ...

عبد الله المشنوق

وقصدت الاستاذ عبد الله المشنوق ، وهو المربي المعروف ومدير كلية المقاصد السابق وصاحب كتاب التعاون الثقافي فسألته :

هل تعتقدون ان الادب العربي المعاصر يعبر عن حاجات الامة العربية وامانيها ؟

الواقع ان الادب المعاصر لم يكن صورة صحيحة لشعور الامة بسبب ضغط المستعمر الذي كان يحول دون حرية الفكر والقول خذ اليك مثلاً قصيدة شوقي في الثورة السورية – سلام من صبا بردى ارق ... وكيف كانت تنقل في البلاد سراً ولم تقو صحيفة على نشرها ؟ ثم صاحبك الشاعر القروي الذي كنت تحمل اعاصيره في السر حتى لكأنك تحمل المخدرات او البارود في حين ان انصار المستعمرين في الادب كانوا يرتعون ويلعبون ويشوهون ويمسخون ويطبلون ويزمرون ويأكلون ويشربون . ثم لا اخالك نسيت



ايام كانت كلمة عربي او عروبة تعتبر جريمة سواء قيلت في حفل ام نشرت في صحيفة فقد يساق الاول وتعطل الثانية لهذا ولغيره ارى ان الادب لم يقو على التعبير عن خلجات الامة وما تعانيه وترسف فيه ، اما هؤلاء الذين يعبرون عن الادب الزائف ثم يدعون انهم دعاة للتجديد ؟ انهم دعاة التقليد الاعمى للاجنبي ، لذلك يأتي ما يسمونه ادباً صورة ممسوخة هزيلة ليست عربية وليست اجنبية ؟ .. لكن من الآن وصاعداً وبعد ان نعمت البلاد بعهدها الاستقلالي ارجو ان تنشط الحركة الادبية وعندئذ تظهر الناحية الاستقلالية والعربية بوجهها الصحيح .

— من أحب الكتاب اليكم ؟

لعلك تقصد من احب الادباء لاني أحب هنا ان افصل بين الكاتب والاديب لان هناك كثيرين ممن يكتبون باساوب جميل واما ادبهم فلا يستحق الاعجاب وليس من شك بان الحركة الادبية في مصر انشط منها في سائر البلاد العربية اذ استطاعت مصر ان تنجب الشاعر والاديب فالشاعر المرحوم شوقي واما الاديب فتوفيق الحكيم ، اذ هو في نظري اديب عالمي ، ولعله لا يقل عن اناتول فرانس بالنسبة الى فرنسا على شرط ان لا يعتبر ما يكتبه من مقالات في الصحف اليومية والاسبوعية اساساً لوزنه الادبي ولو اكتفى الحكيم باهل الكهف وشهرزاد ويوميات نائب في الارياف ولو لم يكن له غير هذه الكتب الثلاثة لاستحق المكانة الاولى في الادب العربي . ثم استطرد اما طه حسين فيعجبني في دراساته الادبيه ونقده الادبي ولعله احسن من يفهم الادب العربي في مصر بل وفي الاقطار العربية . ولكن هناك من يأخذ على الاستاذ الحكيم الركاكة في الاساوب ، ان اسلوبه صحيح وواضح على كل حال ، والاساوب وسيلة وليس غاية في نظري ، ان توفيق الحكيم هو الاديب الوحيد الذي تجد في ادبه طابعاً شخصياً وفكرة جديدة .

— وما هو رأيكم في التعاون الثقافي بين البلاد العربية وما هي انجع الوسائل لنجاح هذا التعاون ؟

لقد اجبت عن هذا السؤال اجابة ضافية في كتابي الاخير — التعاون الثقافي — ولعلك تريد ان تعرف ايضاً اني هنا افصل بين التعاون وبين التوحيد لان هذه الناحية في نظري خطيرة جداً . واراني لا اقر التوحيد التام . ثم اني لست في حاجة الى تعريف لفظتي التعاون والتوحيد فهما واضحتان غاية الوضوح ، وبديهي ان الثانية اعم واشمل من الاولى ، وان التعاون قد يؤدي اذا قضت المصلحة المشتركة الى التوحيد او الى ما يقرب منه . وغايتنا في هذا الموضوع ان نرى ما اذا كان في صالح العرب من الوجهة العلمية البحتة ان تقوم العلاقات الثقافية بينهم على اساس التوحيد او التعاون او بين بين ، ونحن اذ نتكلم عن الشعوب العربية نعتبر انها بمجموعها تؤلف امة واحدة كالامة الاميركية او البريطانية او الفرنسية .

ان امم الغرب انقسمت في هذه الناحية الى ثلاثة اقسام : قسم اخذ بمبدأ التوحيد المطلق وقسم اخذ بمبدأ التعاون الحر وقسم آخر حاول التوفيق بين المبدأين ، فالامم اللاتينية بوجه عام والجرمانية اخذت بمبدأ التوحيد التام ، بينما اخذت الولايات المتحدة الاميركية بمبدأ التعاون الحر وتركت لكل من ولاياتها الثاني والاربعين الحرية الكاملة في تنظيم شؤونها الثقافية الا في بعض القضايا الرئيسية النادرة والمتعلقة بالاهداف الوطنية ، واما بريطانيا العظمى فهي تحاول التوفيق بين الفكرتين وتبدو هذه النزعة قوية في الكتاب الابيض الاخير الذي اصدرته الحكومة البريطانية عن تنظيم التربية بعد الحرب .

وحجة المتمسكين بمبدأ التوحيد المطلق انه يقضي على الفوضى التي تنشأ عن مبدأ الحرية الواسعة ويصبغ ابناء الوطن بصبغة وطنية واحدة ويشدهم باواصر متينة ويطبعهم بطابع ثقافي واحد . ويعتمد هذا التوحيد التام على مبدأ المركزية الى حد بعيد .

واما انصار التعاون الحر فيرون ان التربية ما تزال في طور التجربة والاختبار وان التوحيد وما قد يتبعه من مركزية ، يجعل شؤون الثقافة آلية ميكانيكية ، ويحول دون التجدد والتطور ، ويقتل عامل الابتكار ، فيصبح جهاز التعليم اشبه شيء بمصنع كبير للماكينات ينتج كل عام بالجملة مئات الالوف من طراز واحد من السيارات .

واما الفئة الثالثة فقد ادركت مساوىء التطرف في كل من المبدأين ورأت ان تنهج نهجاً وسطاً فتوحد شؤون الثقافة في الخطوط الرئيسية الكبرى المتعلقة بالاهداف والاتجاهات العامة وتترك الفروع يتصرف فيها القائمون على الثقافة كما يشاؤون بشكل

لا يكبت فيه الابتكار والشخصية الفردية ويفسح فيه المجال للتنويع والتجربة وما يرافقها من تطور في مختلف النواحي الثقافية. وعلى هذه الطريقة درجت بريطانيا العظمى قبل الحرب وهي تنوي تقريرها في تنظيم الشؤون الثقافية عقب انتهاء الحرب .

محي الدين النصولي

الى هذا الحد انتهيت مودعاً الاستاذ البحاثة ثم توجهت الى مكتب نقيب الصحافة اللبنانية وصاحب جريدة بيروت النائب السابق الاستاذ محي الدين النصولي الذي اظهر اعجابه وتقديره لمجلة الاديب قائلاً هذه صحيفة الجيل العربي الواعي. ووجهت اليه الاسئلة التالية :

(١) ما هو مستقبل الصحافة العربية بعد الحرب ؟

(٢) ما هي الوسائل التي تعتقدون انها تنهض بصحافتنا ؟



(٣) ما رأيكم في الصحف الاجنبية التي تصدر باللغة العربية والتي يقال انها سيكون لها اضخم ما عرفت الصحافة من رأسمال الى مطابع واقلام تحرير. وماذا يكون اثر هذه المشاريع في البلاد العربية وكيف ستواجهها الصحف الوطنية المحلية .

(٤) هل حاولتم معالجة قضايا الصحافة ما بعد الحرب في جمعيتكم وكيف ؟؟..

(١) لست من الذين يرجمون بالغيب ، او يدعون خرق حجب المستقبل ، ولكني من الذين يؤمنون بان المستقبل هو وليد الحاضر والماضي ، ونتيجة محتومة لهما . لقد تقدمت الصحافة العربية تقدماً محسوساً في السنوات التي سبقت هذه الحرب ، ثم حد هذا الحرب نشاطها الى مدى بعيد ، اني من الذين يقولون ان الصحافة العربية ينتظرها مستقبل باهر ، بعد ان تضع الحرب اوزارها اذا اخذنا بعين الاعتبار ازدياد عدد القراء المطرد ، واقبال العربي على العلم ، وتطلعه الى تنسم انباء العالم ، وماذا يجري في بقاعه ، وقرب المواصلات وسهولتها بما ذلك السيارة والطائرة والتلفون والبرق ، ومما لا ريب فيه ان الصحافة العربية نفسها سوف تتطور مع الزمن وتساير روح العصر، فتوجه عناية خاصة لفن الطباعة ، وحفر الصور الكاريكاتورية منها وغير الكاريكاتورية ، كما انها سوف تغري الشباب العربي على دخول مضمار الصحافة ، وحمل رسالتها المقدسة بما فيها من تعب وارهاق فاذا بالاقطار العربية تجد غداً الصحفي العربي الذي يعرف ان يكون « الرأي العام » ، وان يوجهه الوجهة الصحيحة ، وان يكون خير رسول لآماله وامانيه ومثله العليا السامية.

اني اؤمن بمستقبل الصحافة العربية واؤمن به الى حد بعيد ، وأتخيل هـذا المستقبل زاهراً فتاناً يغري الشباب العربي على حمل مشعل الصحافة واتخيل الصحف العربية في مصر ولبنان مثلاً تطبع عشرات الالوف من النسخ وتطبعها طبعاً متقناً وتشحنها باطرف الانباء والمقالات وتنقلها بالطائرة الى جميع انحاء العالم العربي ، فاذا بابناء العراق ونجد واليمن والمغرب الاقصى مثلاً يطالعون انباء الاقطار العربية الشقيقة في ذات النهار الذي تصدر به صحفها او في النهار الذي يليه ، وفي هذا ما فيه من تقريب بين العربي والعربي ، وخلق دنيا عربية متسقة متجانسة تساير الرقي وتتطور مع الزمن .

(٢) ان خير الوسائل التي تنهض بصحافتنا العربية تعاون الصحافة والصحفيين من جهة على رفع مستوى هذه المهنة الحرة ، ودعم الحكومات العربية لصحافتها من جهة ثانية وذلك بمحاربة الصحافة من الفضوليين الذين يتوهمون ان الصحافة هي عبارة عن « شانتاج » لا اكثر ولا اقل وانها مهنة المرتزقة والمتسولين واللامبالين ، ومما لا ريب فيه ان القارىء العربي باقباله على الصحف الوطنية التي تؤدي رسالتها على وجهها الصحيح واعراضه عن الصحافة « الصفراء » هو المشجع الاول والاخير للصحافة التي تحترم نفسها ..

(٣) انا لا اخشى المزاحمة الاجنبية الا اذا قدمت الرساميل الضخمة واستخدمت الصحفيين اللامعين العرب وانشأت جرائد كبيرة زودتها بكل شيء ، وقام على تنفيذ هذا الشيء الشباب العربي الذي يحترم نفسه ويعرف ان الصحافة وجدت لخدمة الرأي العام العربي خدمة خالصة لوجه الخدمة .

ولكن اين هذا الشباب العربي الذي يستطيع العمل مع الاجانب وبين ظهرانينا صحفيون عرب بوسعهم اليوم ان يقدموا الرساميل الضخمة ، وان يجهزوا صحفهم بجميع الوسائل الحديثة ، وان يلونوها باللون الوطني والمحلي في وقت واحد وان يؤدوا رسالة الصحافة الكريمة على خير وجه واتمه .

(٤) كلا لم نعالج قضايا الصحافة ما بعد الحرب في جمعية اصحاب الصحف اللبنانية ولكن تطور الصحافة وسيرها قدماً الى

غاياتها السامية سوف يهيب بالصحفيين الى التكتل والى توحيد عدة صحف في صحيفة قوية جبارة تجتاح الاسواق بمادتها وروحها ورسالتها الرفيعة وان غداً لناظره قريب .

خليل تقي الدين

وفي ندوة البرلمان وجهت اسئلتي الى الاستاذ الشيخ خليل تقي الدين السكرتير العام للمجلس النيابي اللبناني ، فقال : سل بالجملة لاجيبك بالجملة . فقلت :

(١) ما هو رأيكم في التعاون الثقافي بين البلاد العربية وكيف ينجح هذا التعاون ؟

(٢) هل جنت حياتك السياسية على ادبك وشعرك ؟

(٣) هل يعبر الادب العربي المعاصر عن حاجات الامة العربية وامانيها ؟

(٤) من احب الكتاب اليكم ؟

(١) في دنيا الفكر والادب تمحي الحواجز وتنهار الحدود . فرسالة الاديب رسالة انسانية شاملة . كذلك كانت ، وكذلك ستكون . وستصبح هذه الرسالة اكثر شمولا من ذي قبل لان العالم مقبل على انقلاب خطير ستكون اهم ميزاته توثق العلاقات بين الشعوب ، وازدياد اختلاط الامم بعضها ببعض ، وتعارفها عن طريق الاسفار ، والمنشورات ، والسينما ، والراديو ، وكل هذه الاختراعات التي تفتق عنها العقل البشري الجبار .

فمن البديهي اذن ان لا اكون من انصار التعاون الثقافي بين البلدان العربية وحسب ، بل بين اجزاء العالم كله . ولست بواجد بلداً كلبنان انتشر ابناؤه تحت كل سماء ، وحملوا الى اصقاع الدنيا رسالة الادب العربي ، ودقوا اطناب خيامهم في كل بلد نزلوه . ألسنا نحن اللبنانيين الذين انشأنا الاندلس الجديدة في الاميركتين واقمنا الجسر الذي عبر عليه كتاب العرب وشعراؤهم من قديم الادب الى جديده ؟ فمالك تسألني عن التعاون الثقافي بين اقطار العرب ، ولبنان كان ولم يبرح في طليعة البلدان التي ابت العزلة في ماضيها ، وتأباها في حاضرها ومستقبلها ، لان العزلة دليل الخوف والانكماش والجمود ، وما كان لبنان خائفاً ولا منكمشاً ولا جامداً .

وكثيرة هي الوسائل لنجاح هذا التعاون . فالصحافة ، وتبادل البعثات ، وتزاور الادباء ورجال الفكر ، كلها وسائل . ليأتنا اخواننا ابناء الاقطار العربية فلبنان فاتح لهم ذراعيه ، ولينزلوا منه في اجمل بقاع الارض فيبتردوا بمائه النمير ويتنشقوا هواءه القوي ، وينعموا بطبيعته الفاتنة ! ولنذهب نحن الى بلدان العرب واردين ينابيع الحضارة العربية ، فنملي عيوننا وحواسنا جميعاً بتلك الحضارة التي ركزت لواءها في الشرق والغرب ، حتى جاوزت به حدود الهند والصين ! وليكن تزاورنا ، وتعارفنا سبيلاً الى توثيق عرى الحب بيننا ، وليس كالادب وسيلة الى ذلك ، ولا كالقلم شارة تزدان بها صدور من ينزعون الى التلاقي ، فالتعارف ، فالحب .



(٢) لو استسلمت للسياسة لقتلتني . لكني ألوذ بالادب كلما شعرت ان السياسة تكاد تطغى عليّ . فانا اخلو بمكتبي وقلمي واوراقي لاستريح ، وما رأيك براحة اعاني فيها من آلام الكتابة ما تعانيه المرأة من آلام الوضع . الكنها العلة يا اخي ، وعلتنا نحن اننا اذا حرمنا الكتابة نموت .

والسياسة ، او الوظيفة ، او العمل الرسمي ، مهما شئت ، ليست ضرراً كلها ، ولاهي جانية على الاديب كما يتوهم الكثيرون . ان فيها للادب مادة ثمينة جداً ، واحسبني اذا فسح الله في عمري ، واعانني على ترك الوظيفة ، منحنياً يوماً على ماضيّ في دنيا الحكومة لاكتب اكثر من كتاب اوحته اليّ الوظيفة ، وادون مذكرات تجيء كفلم من افلام السينما ، فيها المضحك ، وفيها المبكي ، وفيها ، على كل حال ، عظات ودروس .

لكن جناية الوظيفة انها لا تدع لنا مجالا للانصراف الى التأليف . وما قولك في اننا نسرق الوقت سرقة ، ونخالف النظام ، في سبيل بحث نستجمع مواده ، او مقالة نكتبها ، او قصة ان لم نضعها على الورق عذبتنا كثيراً ؟

لكن ، من يدري ، فقد يكون في عملنا الرسمي خير للقراء ، اذ نريحهم من هذرنا الدائم .

(٣) تسألني هل يُعبر الادب العربي عن حاجات الامة العربية؟ كلا ! ثم كلا ! لان ادباء العرب ، او الكثرة فيهم ، لا يريدون ، او لا يستطيعون ، او لا يعرفون ، ان يهدموا الحواجز

القائمة بينهم وبين الحياة . انهم يحيون الحيـاة ، فاذا آن اوان الكتابة او النظم نسوها وراحوا يتحدثون عن الصاحب بن عباد ، ويتغزلون بعيون المهى بين الرصافة والجسر ، وعندهم ، بين باب ادريس ، وساحة البرج الف عين وعين ..

(٤) أحب الكتّاب اليّ : صاحبي الذي مـات ... هل تعرفه ؟...

الدكتور نقولا فياض

شكرت شيخنـا الكريم .. وبعد لحظات كنت في دار الاديب فوجـدت امير المنابر الدكتور نقولا فياض . ومـا هو رأيكم يا حكيم ! بماذا ؟ .

بالتعاون الثقافي بين البلدان العربية . وما هي الامور المؤدية الى نجاح هذا التعاون .

ارى ان التعاون الثقافي بين البـلدان العربية ضروري لتوثيق روابط الجامعة العربية بأزالة الفوارق الموجودة في العادات والاخلاق وتقريب نازحة القلوب ، وايجاد مستوى واحد من حيث التربية والعلم والحياة الاجتماعية فـلا يشعر العربي اذا رحل من قطر الى قطر انه غريب لتباين في اللهجة او التباعـد في العادات من مطعم وملبس وزواج وغير ذلك مما اجمع المشترعون على تسميته بالاحوال الشخصية .

والتعاون الثقافي ليس ابن اليوم فالادب لا يعرف الحـدود . والصحف والمؤلفات ورحلات الكتاب كلها من عوامل هـذا التعاون وقد فكر الغربي به قبل اليوم واراد توسيـع نطاقه الى ابعد غاية حتى يتناول سائر معاملات البشر بخلق لغة واحدة للتفاهم هي « الاسبرنتو » . واذا لم تنجح هذه الفكرة يومئذ فلا يعني انها تركت بتاتاً . ونحن الناطقون بالضـاد حسبنا اللغة لتكون واسطة العقد بيننا فهي الاسبرنتو التي نرجو بواسطتها ضم الشمل وعليها يقوم هذا التعاون اما الامور المؤدية الى نجاحه فهي :

(١) توحيد مناهج التعليم بما يتفق وروح العصر وجعل التربية قائمة قبل كل شيء على الاخلاق وما اجمعت الديانات الثلاث عليه من الامر بالمعروف والنهي عن المنكر . ثم التوجيه المهني حسب البيئة وحالة البلاد فزراعي في المناطق الزراعية وصناعي في غيرها . هذا التوجيه ضروري وفقدانه يخلق البطالة ويجعل التلميذ المنتهي في حيرة لا يعرف ماذا يعمل ولا يجد امامه سوى الطب والحقوق وسيلة للتعيش ومتى قلت الصناعات تعذر الغنى والاستنباط وكسب ثقة الغريب للحصول على الاموال من الخارج .

ولا يبلغ هذا التعاون الغـاية الا بتبادل البعثات من اساتذة وتلاميذ وانشاء مجمع يضم بين اعضائه واحداً من كل بلد عربي فيعقد مثلاً كل ٣ اشهر مرة في مكان . ثم هنالك امر آخر لا اجـد تحقيقه مستحيلاً وهو ان يكون لكل قطر مرشد او خطيب جوالة يتنقل في البـلدان العربية فيتسنى لكل قطر ان يسمع حيناً بعد حين عن كثب صوت الاقطار الاخرى ويظل على اتصال وثيق بها وهكذا يتم التعارف والتآلف وتشتد اواصر الصداقة والحب وتنمو روح قومية واحدة .



(٢) ومن احب الكتاب اليكم ؟

— الشيخ ابراهيم اليازجي !

(٣) وهل يعبر الادب العربي المعاصر عن حاجات الامة العربية وامانيها ؟

— لا اظن فأدبنا اليوم مشتت الموضوع حائر الوجهة فيه نقص وتلكأ سواء في القصص او المقالات او التاريخ وقلما تجد كتاباً يمكن الاعتماد عليه في توجيه الناشئة نحو المثل العليـا التي تصبو اليها الامم والتي يحق للامة العربية ان تجعلها قبلة انظارها .

محمد قره علي

مجمل الاحداث السياسية والحربية في شهر

١ آذار ١٩٤٥ – طرح المستر تشرشل الثقة في مجلس العموم ففازت حكومته باجماع الاصوات وعددها ٤١٣ صوتاً .

طلب الملك ميشال ملك رومانيا الى البرنس بورشتربي تأليف الوزارة الرومانية الجديدة وقد شرع على الفور باستشاراته . وهو احد الذين سافروا الى موسكو لمباحثة الحكومة السوفياتية بشأن عقد الهدنة ، واحد الاعضاء الاربعة الذين وقعوا الهدنة في موسكو .

٢ – اصدر الجنرال فارغاس رئيس حكومة البرازيل مرسوماً بإعادة الحياة الدستورية الى البلاد واجراء انتخابات نيابية حرة يعقبها انتخاب رئيس الجمهورية البرازيلية وتأليف حكومة جديدة .

اعلن مقر قيادة الجنرال ماك ارثر ان القوات الاميركية نزلت الى جزيرة باولان واستولت عليها . وهذه الجزيرة هي خامس جزيرة في ارخبيل الفيليبين في عدد السكان .

٣ – احتلت قوات المارشال روكوزفسكي مدينتي نورنبرغ وبوريتو في بوميرانيا .

أبلغت ايسلندا حكومات الحلفاء انها لن تعلن الحرب على المحور لانه ليس لديها قوات مسلحة .

٤ – زيدت الوزارة السورية وزيرين جديدين هما الاستاذ صبري العسلي للداخلية ، والاستاذ احمد الشراباتي للمعارف .

٥ – احتلت القوات الروسية مدينة ستارغارد الواقعة على بعد عشرين ميلاً جنوبي شرقي ستاتن .

وجهت الدعوات الى جميع الدول المتحدة – وهي ٤٥ دولة لحضور مؤتمر سان فرنسيسكو ، ولم توجه الدعوة الى سوريا ولبنان وشرقي الاردن .

فر الجنرال روانا المتهم امام المحكمة الايطالية بتدبير مقتل الملك الكسندر اليوغوسلافي والسيد بارتو وزير خارجية فرنسا الاسبق واعلنت الحكومة الايطالية انها تعطي مكافأة مليون ليرة لمن يعطي معلومات تؤدي الى اعتقال الجنرال الفار .

٦ – احتل الحلفاء مدينة كولون رابع مدينة المانية .

احتلت القوات الروسية غراودنتز على نهر الفستولا وعلى بعد ٥٥ ميلاً من دانتزغ جنوباً . واحتلت غريفنبرغ على بعد ١٥ ميلاً من البلطيق واحتلت كامين على بعد ثلاثة اميال من البلطيق .

٧ – عين احمد باشا الراوي وزيراً مفوضاً للعراق في سوريا ولبنان بدلاً من السيد تحسين قدري .

٩ – قدمت الحكومتان اللبنانية السورية مذكرتين تحتجان فيها على اغفال دعوة بلديهما الى مؤتمر سان فرنسيسكو .

١٠ – وصل فخامة السيد شكري القوتلي رئيس الجمهورية السورية الى بغداد حيث يزور جلالة الملك فيصل الثاني وسمو الوصي على العرش .

احتلت جيوش الحلفاء مدن كانتن وبون وغودسبرغ في الجبهة الغربية .

١٢ – احتلت الجيوش الروسية مدينة كسترين الواقعة في معابر الاودر

١٤ – وصل رئيس الجمهورية السورية الى دمشق عائداً من بغداد .

١٥ – انتشرت في العالم شائعات مفادها ان الالمان طلبوا الهدنة . وقد تبين بعد ذلك ان هذه الشائعات سابقة لاوانها . وان مصدرها كلها ستوكهولم عاصمة السويد .

١٦ – شن الجيش الاحمر هجوماً عنفاً على رقبة الجسر الالماني المقام على الاودر شرقي ستاتن مفتاح مركز الدفاع الالماني في شمال شرقي برلين .

١٧ – افتتح محمد فهمي النقراشي باشا رئيس الوزارة المصرية اجتماع اللجنة التحضيرية للمؤتمر العربي العام التي ستضع اول ميثاق لجامعة الدول العربية . وكان يمثل البلاد العربية رؤساء وزاراتها او وزراء خارجيتها .

١٨ – استولت الوحدات السوفياتية على مدينة براندنبورغ الواقعة جنوبي غربي كونيكسبرغ . ولا يزال الجيش الاحمر يتابع تطهير كولبرغ المرفأ الكبير على البلطيق .

١٩ – هاجمت قوة كبيرة من طائرات الاسطول الامريكي القواعد الجوية والمنشآت في جزيرة كيوشو احدى الجزر اليابانية .

قدم الدكتور ناظم القدسي وزير سوريا المفوض لدى الحكومة الاميركية – اوراق اعتماده الى الرئيس روزفلت . وهو اول وزير مفوض لسوريا لدى الولايات المتحدة .

٢٠ – سقطت مدينة براونسبرغ البروسية في ايدي الروس وهي أهم مركز في الجيب الالماني جنوب غربي كونغسبرغ . وكذلك سقطت مدينة « التدام » الواقعة على ضفة الاودر الشرقية .

٢١ – ابلغت الحكومة السوفياتية حكومة تركيا انها ترغب في انهاء معاهدة الصداقة والحياد التي عقدت بين روسيا وتركيا في سنة ١٩٢٥ وهي المعاهدة التي ينتهي اجلها في ١٧ كانون الاول من هذا العام .

٢٢ – وقع ممثلو الدول العربية في قصر الزعفران بالقاهرة على ميثاق جامعة الدول العربية .

٢٤ – عين الفيلد مارشال كيسلرنغ قائداً عاماً للجيوش الالمانية في الغرب .

٢٥ – سافر السيد تشرشل من انكلترا الى الجبهة الغربية وزار مقر المارشال مونتغمري وشاهد جميع حركات عبور الرين .